الفصل الثاني
في نقد الموسوعات

١/٢

موسوعة التاريخ الإسلامي
مراجعة علمية نقدية

مدخل: قلق البدايات الطويل!:

على الرغم من مرور أكثر من قرن على معرفة المعجم العربي الحديث لكلمة الموسوعة مكافئًا ترجميًّا للكلمة الأعجمية Encyclopedia التي تندرج ضمن الأعمال المرجعية التي تلتقي مع المعجم في عدد من الخصائص البنائية، وتفارقه متميزة عنه في عدد آخر - فإن الجدل حول طبيعتها من جانب، وحول المكافئ الترجمي العربي، وإن بدرجة أقل من جانب آخر = ما زال مستمرًّا.

ومن أقدم من توقف أمام مشكل تعريب هذا اللفظ أحمد زكي باشا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: موسوعات العلوم العربية [المركز العربي للبحث والنشر، بالقاهرة سنة ١٩٨٣م، مصورة عن طبعة المطبعة الأميرية، بالقاهرة، ١٣٠٨هـ؛ (ص ٧)]؛ حيث أفرد فصلًا في تعريب لفظ إنسيكلوبيديا): encyclopedia، يقول فيه: "ما زال المترجمون حائرين ... في نقل هذا اللفظ من العجمة وإلباسه ثوبًا من العروبة يليق به، ويدل على معناه". ومن المكافئات التي ذكرها:

أ- الحاوي.

ب- دائرة المعارف.

ج- الموسوعة.

د- جامع العلوم.

ولكن المجتمع العلمي مع مرور الوقت جنح إلى استعمال المكافئ: موسوعة؛ لاعتبارات ظاهرة، من مثل:

أ- الإيجاز.

ب- البيان والوضوح.

ج- مناسبة الصيغة الصرفية (اسم مفعول دال على الاتساع) للمعنى المراد من التسمية.

د- الاقتراب من الدلالة على مفهوم الموسوعة؛ بما هو عمل مرجعي جامع، يتجاوز حدود العناية بالتعريفات إلى بناء التصورات وتأسيس المفاهيم.

وتعاني العربية - بصورة عامة - من نوع فقر من جهة النظرة الكمية العملية؛ إذ تعد الموسوعات الموجودة قليلة على كل حال، ومن أي منظور مقارن.

ومن ثم فإن صدور موسوعة التاريخ الإسلامي، التي أصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، بالقاهرة ١٤٣٦هـ = ١٤١٥م - ضمن سلسلة الموسوعات الإسلامية المتخصصة - يعد عملًا مهمًّا يستوجب المتابعة والحفاية.

والحفاية بالأعمال العلمية البر بها، وخدمتها بالدراسة والفحص من الجوانب المختلفة.

١- موسوعة التاريخ الإسلامي: المادة والانتماء المعرفي:

١/ ١ مادة الموسوعة: ضمت الموسوعة ما يربو عن (١٨٠) ثمانين ومئة مدخل، كتبها ستة وخمسون أستاذًا اختصاصيًّا في مجالها.

وعنوان هذه الموسعة هو: موسوعة التاريخ الإسلامي، والقيد المستعمل في العنوان (الإسلامي) ينبغي أن يفهم في إطاره الموضوعي، لا الزمني، بمعنى أن هذه الموسوعة معنية في المقام الأول بما يتعلق بالتاريخ (الإنسان/ الأرض) الموصوف بالإسلامي، منذ ظهور الإسلام إلى يوم الناس هذا، وليس مقصودًا به حمله على نوع من التاريخ وفق التقسيم بحسب العصور التاريخية، التي تعبر عن تاريخ مجموعة من العصور المبدوءة بنبوة النبي ﷺ وتنتهي على أعتاب العصر الحديث، الذي يؤرخ له بالغزوة الفرنسية على مصر والشام، ١٧٩٨م.

وهو قيد كان من الضروري جدًّا بيان المراد منه، أو تعديل العنوان ليكون موسوعة التاريخ في العالم الإسلامي!

والمداخل التي ضمتها هذه الموسوعة هي:

(ج/ ١): آل رزيع في اليمن/ آل سعود / آل يعفر الحواليين في صنعاء/ الأتابكية/ الأتراك/ أجنادين/ أحد/ الأحزاب/ الإخشيديون/ الأدارسة/ أذربيجان/ الأراتقة/ الأزهر/ الأسطول/ الإسماعيلية/ الإسماعيلية في اليمن/ الأغالبة/ الأفشارية/ أفغانستان/

الأكراد/ ألبانيا/ الأمويون/ أمير الأمراء/ أمير المؤمنين/ الأندلس/ إندونيسيا/ الأنصار/ أهل الذمة/ أهل الصفة/ إيران/ باب الأبواب/ باكستان/ بدر/ البرامكة/ البربر/ البردة/ بغداد/ البقيع/ بلاد ما وراء النهر/ بلاط الشهداء/ البنجاب/ بنو حفص/ بنو حماد/ بنو زنكي/ بنو زهر/ بنو زيري/ بنو مدور/ بنو مرين/ بنو نجاح/ بنو نصر/ البوسنة والهرسك/ البويهيون/ بيت الحكمة/ بيت المال/ تبوك/ التحكيم/ تركستان/ تركمانستان/ ترمذ/ التكرور/ الثغور والعواصم/ ثقيف/ الجابية/ جامع أحمد بن طولون/ جامع الزيتونة/ جامع عمرو بن العاص/ جامع القرويين/ جامعة الدول العربية/ الجبل الأسود/ جبل طارق/ الجراجمة/ الجراكسة/ الجمل/ حادثة الإفك/ الحبشة / الحجابة/ حجة الوداع/ الحديبية/ الحرة/ حركة الردة/ الحروب الصليبية/ حصن بابليون/ حطين / الحمدانيون/ الحميمة/ خزاعة/ الخزرج/ الخلافة/ الخلجيون/ الخوارزمية/ خيبر.

(ج/ ٢): دار الأرقم/ دار الإسلام/ دار الحرب/ دار المسكة/ دار العلوم/ دار العهد/ دار الندوة/ دنشواي/ دهلي/ دور الصناعة/ دومة الجندل/ ديار ربيعة/ ديار مضر/ دير ياسين/ الديلم/ الديوان/ ذات الصواري/ رأس الرجاء الصالح/ الرستيمون/ الرسوليون/ الرفادة/ الروم/ الزاب/ زبطرة/ زمزم / الزنج/ الزهراء / الزياديون/ الزياريون/ السادات/ السامانيون/ السرايا/ سرنديب/ السقاية/ سقيفة بني ساعدة/ السنغال/ السودان/ سيشيل/ الشام/ الشرطة/ الشعوبية/ صحيفة المدينة/ الصفاريون/ الصفويون/ صفين/ الصقالبة/ الصليحيون/ صنفي/ الصوائف والشواتي/ طاجكستان/ الطاهريون/ طبرستان/ طرابيزون/ الطواشي/ الطولونيون/ عام الحزن/ عام الوفود/ العباسيون/ العثمانيون/ غار حراء/ الغزنويون/ الغنائم/ الغوريون/ الفاطميون/ فتح مكة/ الفتوة/ القادسية/ قبة الصخرة/ القرامطة/ القسطنطينية/ قلعة الجبل/ القيراون/ الكعبة/ المؤاخاة/ المرابطون/ المغول/ مكة المكرمة/ ملوك الطوائف/ المماليك/ الموالي/ الموريسكيون/ نهاوند/ الهجرة/ الوطاسيون في المغرب/ ولاية العهد.

إن تحليل مادة المداخل في موسوعات التاريخ الإسلامي، يلمح وفاء لمفهوم التاريخ الذي ينتصر للحادثات في ارتباطها بعنصري الزمان والمكان، أو الزمان والأرض، من دون رعاية مركزية للعنصر الإنساني، صحيح أن الإنسان يبقى دائمًا في أي تصور لمفهوم التاريخ

حاضرًا بامتياز، لكنه في بناء هذه الموسوعة حاضر في الخلف، ولعل خلو الموسوعة من مداخل خاصة لأعلام كان لهم سهمتهم في حركة التاريخ الإسلامي يدعم هذا الملمح من جانب، ويحيل على موسوعة الأعلام التي أنجزها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة قبلًا.

إن تغييب العلم الإنساني من المداخل في هذه الموسوعة انتصار من طرف خفي للقوى الجماعية غير الفردية، وانتصار للتحركات الاجتماعية الجماعية، وهو ميل يستصحب في روحه فلسفة الأمة.

صحيح أن ثمة أعلامًا/ أبطالًا بمفهوم بعض التصورات التي كانت شائعة لمفهوم صناعة التاريخ - اعتمادًا على البطل التاريخي - تظهر أحيانًا في معلومات التعليق على بعض المداخل، ولاسيما في مداخل الدولة الإسلامية التي أنشأها قادة، ونسبت إليهم، لكن الموسوعة انتصرت لفكرة النظام لا الأفراد!

(١/ ٢) الانتماء المعرفي للموسوعة:

تتمايز الموسوعة؛ بما هي نوع من أنواع المراجع التي تمثل - على حد تعبير الدكتور عبد الستار الحلوجي: (في كتابه: مدخل لدراسة المراجع، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة، ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م؛ ص ظهر الغلاف): - "مفاتيح كنوز المعرفة"!

وموسوعة التاريخ الإسلامي تنتمي إلى نوع المراجع المعروف باسم الموسوعات المتخصصة، بتحكيم المعايير والقرائن التالية:

أولًا: المعيار الموضوعي، فقد استقلت الموسوعة بمعالجة عدد من المداخل المنضوية تحت حقل معرفي خاص، هو التاريخ الإسلامي، تقول مقدمة المشرف على الموسوعة (١/ ٧): "ولم يقتصر اهتمامنا في هذه الموسوعة على الجوانب السياسية، والحربية ***من تاريخ*** هذه الأمة؛ بل اتسع ليشمل الجوانب الاقتصادية والثقافية، والاجتماعية، والمعمارية، والحضارية بصفة عامة".

وتقول (١/ ٧): "ولا يمكننا الادعاء بأننا استوعبنا كل موضوعات التاريخ الإسلامي في هذه الموسوعة"!.

من هذين النقلين يتضح لنا أن خطاب تحليل الموضوع يقضي بالحكم على انتماء هذه الموسوعة إلى نوع الموسوعات المتخصصة في حقل معرفي بعينه، هو التاريخ الإسلامي، أو قل: تاريخ العالم الإسلامي على امتداد عصوره من نشأته إلى اليوم.

ثانيًا: عنوان الموسوعة.

ثالثًا: وعي مقدمتي الموسوعة؛ (التقديم/ ومقدمة المشرف).

رابعًا: تحليل اختصاص هيئة التحرير، التي ضمت أربعة أسماء لعلماء من كبار علماء التاريخ في مصر، هم:

أ- أ.د. عبد الشافي محمد عبد اللطيف.

ب- أ.د. عبد الله محمد جمال الدين.

ج- أ.د. حسن علي حسن.

د- أ.د. عبد الرحمن سالم.

خامسًا: تحليل اختصاص المراجعين العلميين للموسوعة، التي ضمت الأستاذين الدكتور عبد الله محمد جمال الدين، والدكتور عبد الرحمن سالم، وهما من كبار أساتذة التاريخ الإسلامي.

نحن إذن أمام موسوعة مختصة بالتاريخ الإسلامي، وهى موسوعة لا تعنى بفرع ضيق في هذا الحقل الواسع، ولكنها تغطي جغرافية التاريخ الإسلامي في حقوله الفرعية المختلفة، من مثل:

أولًا: التاريخ الإسلامي العام الذي يعنى بالأحداث الإسلامية الكبرى في عصور الأمة المسلمة المختلفة.

ثانيًا: التاريخ السياسي للأمة الإسلامية، فثمة مداخل للدول، والأنظمة والاتفاقيات الشهيرة؛ إلخ.

ثالثًا: التاريخ الحربي والعسكري، فثمة مداخل للمعارك، والمواقع والغزوات، والسرايا، والعهود، والهدنة، والحصون؛ إلخ.

رابعًا: التاريخ الاجتماعي، فثمة مداخل للجماعات، والحركات الاجتماعية، والثورات؛ إلخ.

خامسًا: التاريخ الاقتصادي؛ فثمة مداخل لدور الصناعة، والمفاهيم الاقتصادية والمالية؛ إلخ.

سادسًا: التاريخ الإداري؛ فثمة مداخل لتنظيم الحكم ومؤسساته، ومستجداته، ونظمه؛ إلخ.

سابعًا: التاريخ الثقافي، فثمة مداخل للمفاهيم الثقافية، والأفكار، والمؤسسات التعليمية والثقافية؛ إلخ.

ثامنًا: التاريخ الحضاري؛ فثمة مداخل للمؤسسات الحضارية، والمكتبات والمساجد، ودور العلم، والترجمة؛ إلخ.

ويرتبط بهذا الحقل تاريخ العمارة، فثمة مداخل عن أنواع خاصة بمبان معمارية مائزة.

والموسوعة هذه لم تقتصر على الوفاء لمفهوم التاريخ التقليدي، وإنما بدا منها نوع تقدير لمفهوم الكتابة التاريخية الجديدة، التي تحيط بمجمل النشاط الإنساني في اتجاهات الحياة المختلفة. يقول بيتر بوركي في كتابه: نظرات جديدة على الكتابة التاريخية [ترجمة الدكتور قاسم عبده قاسم، المركز القومي للترجمة، بالقاهرة، سنة ٢٠١٠م، سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين (٢) رقم الكتاب ١٥٩١؛ (ص ٢٤)]: "صار التاريخ الجديد يحفل بكل أنماط النشاط البشري فعلًا؛ إذ إن لكل شيء تاريخ"!

إن هذه الموسوعة - بانتمائها المعرفي - تمثل نقطة ضوء حقيقية في وسط ظلام يحيط بأدبيات هذا الفرع المعرفي، وأعماله المرجعية في العصر الحديث على مستوى نوعي: المعاجم التاريخية والموسوعات التاريخية معًا؛ ولأجل ذلك ظهرت قيمتها المبدئية.

٢- موسوعة التاريخ الإسلامي: خطاب التصنيف والنقد:

يعد خطاب فحص التصنيف والنقد من آكد ما يندرج تحت دراسات البحث في الأعمال المرجعية من معاجم وموسوعات، وهما عنصران أساسيان في أية عملية لتقييم المراجع بشكل عام.

وهما عنصران مستعاران من البحث المعجمي، الذي يتأسس مع عنصر التأريخ المعجمي، هذا المجال المعرفي المهم، وفق ما قرره هارتمان في كتابه: المعاجم عبر الثقافات.

منهج موسوعة التاريخ الإسلامي: البنية الكبرى / والبنية الصغرى:

يعالج ركن التصنيف البنية الكبرى / والبنية الصغرى للموسوعة ما يلي:

أولًا: منهج بناء الموسوعة (الهيكل العام): تضم موسوعة التاريخ الإسلامي ثلاثة أقسام هي:

١- المقدمات (واجهة الموسوعة).

٢- متن الموسوعة.

٣- كشافات الموسوعة، أو فهارسها.

وفيما يلي بيان لملامح كل عنصر من عناصر هذه البناء:

١- واجهة الموسوعة:

ضمت واجهة الموسوعة أو مقدمتها مجموعة من المكونات، هي:

أولًا: مقدمة المشرف العام على الموسوعة بعنوان هذه الموسوعة (١/ ٧- ٨)، وتضمنت المعلومات التالية:

أ- موقع الموسوعة في قائمة موسوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، فهي الموسوعة الثانية عشرة "في سلسلة الموسوعات المتخصصة التي يتولى المجلس إصدارها في مجال علوم الإسلام، وفكره، وحضاراته".

ثانيًا: الانتماء المعرفي للموسوعة؛ فهى: موسوعة مختصة في التاريخ الإسلامي، بفروعه الشاملة الكثيرة.

ثالثًا: طبيعة التصور الذي صدرت عنه الموسوعة، وهو اتساع دائرة الاهتمام بفروع التاريخ الإسلامي جميعًا، وعدم الاقتصار على التاريخ السياسي والحربي فقط.

وينضم لمعلومات واجهة الموسوعة أيضًا:

أولًا: قائمة بأسماء السادة العلماء، الذين يشكلون هيئة تحرير الموسوعة.

ثانيًا: قائمة بأسماء السادة العلماء المراجعين العلميين للموسوعة.

ثالثًا: قائمة بأسماء السادة محرري مداخل الموسوعة.

وقد أخلت واجهة الموسوعة بعدد من المعلومات الأساسية المنصوص عليها في صناعة واجهات الموسوعات، من مثل:

أولًا: غياب بيان إرشادات الاستعمال.

ثانيًا: غياب بيان طبيعة مستعملي الموسوعة.

ثالثًا: غياب بيان أهداف الموسوعة.

رابعًا: عدم تعيين طريقة تحديث معلومات الموسوعة، ولاسيما أنها متخصصة في مجال سريع التغيير وهو التاريخ.

خامسًا: غياب بيان منهج الموسوعة، ونظام ترتيب مداخلها خارجيًّا وداخليًّا، وهذه الأمور مهمة جدًّا.

ومن جهة أخرى، فإن ما اعتنت به مقدمة الموسوعة جاءنا ناقصًا، فقد أحسنت الموسوعة عندما صنعت قوائم بأسماء هيئة التحرير، والمراجعين العلميين والمحررين، وهو قاعدة تنص عليها قواعد صناعة مقدمات الموسوعات، ولكن فاتها أن تذكر أمام كل اسم في كل قائمة: الدرجة العلمية، والطبيعة الوظيفية. وهو أمر مهم ومحدد بالغ القيمة على طريق بناء الثقة في معلومات الموسوعة.

كما أن القائمة التي تضمنت أسماء المحررين تنص منها رصد عنوانات المداخل مرتبة ترتيبًا هجائيًّا لكل محرر.

٢- متن الموسوعة: البنية الكبرى:

مثل جسم الموسوعة القسم الثاني من بنائها أو هيكلها العام، وقد رتبت المداخل فيه ترتيبًا هجائيًّا وفق استعمال المدخل في صورته المتداولة بحسب الحرف الأول من كل مدخل، بلا تجريد.

وهو ما يعني تكسر الموسوعة على أبواب بعدد حروف الهجاء أو المعجم، وقد بلغت كثافة أبوابها: ثلاثة وعشرين بابًا؛ إذ غابت المداخل عن أبواب حروف: الضاد/ والظاء/

واللام/ والياء! وهذا فيما يخص الترتيب الخارجي. ثم رتبت المداخل داخل كل باب أو تحت كل حرف هجائي ترتيبًا ألفبائيًّا، يراعي بعد الحرف الأول الحروف الثواني والثوالث؛ إلخ.

وبذلك تكون الموسوعة اتبعت في ترتيب مداخلها خارجيًّا وداخليًّا تطبيقات النظام الهجائي الألفبائي؛ تيسيرًا على المستعملين، ومتابعة للمنهجية الشائعة في صناعة الموسوعات في العصر الحديث بشكل عام.

٣- متن الموسوعة: البنية الصغرى:

تمثل البنية الصغرى للموسوعة أهم المكونات جميعًا؛ ذلك أنها هي مجموعة المعلومات التي تندرج تحت المداخل.

وتضم معلومات البنية الصغرى في الموسعات وفق التصور المثالي أربعة أنواع من معلومات التعليق، هي:

أ- معلومات التعليق على شكل المدخل أو صيغته (ضبطًا وهجاء ونوع صيغته الشكلية).

ب- معلومات التعليق على معنى المدخل (من المعلومات التي تعرف بالمدخل/ ومستوى استعماله في مجال الموسوعة الموضوعي أو المعرفي).

ج- محدد منح الثقة في معلومات ما تحت المدخل (توقيع كاتب المدخل أو محرره).

د- محدد توسيع أفق المعرفة بمعلومات المداخل (المراجع المرصودة للاستزادة).

وفيما يلي فحص لهذه المحددات الأربعة المشكلة لعمود الصورة الخاص بالبنية الصغرى للموسوعة:

أ- تفاوتت عناية موسوعة التاريخ الإسلامي **بمعلومات التعليق على الشكل** من أكثر من زاوية، يمكن بيانها كما يلي:

١- تفاوت العناية بأنواع معلومات التعليق على الشكل، فلم يطرد ظهور نوع بعينه منها، وإن كان الضبط بنوعه التقييدي كان أبرزها بإطلاق؛ نظرًا لحاجة عدد من المداخل إلى بيان طريقة نطقها؛ لغرابتها على القارئ العربي المعاصر [انظر: غار حراء بالكسر والتخفيف والمد

(٢/ ١٣٤٠)]، هذا فضلًا عن عناية بضبط كثير من المداخل بطريقة ضبط القلم (أو ما يعرف باسم: التشكيل)!

[انظر: آل يعفر (١/ ٢٩) / وأحد (١/ ٦١)/ وأهل الصفة (١/ ٢٦٤)/ والديلم (٢/ ١٩٥١)/ والرستميون (٢/ ٩٨٠) / وصفين (٢/ ١١٧٩) وغيرها].

لقد أخلت الموسوعة بضبط عدد كبير من المداخل، مع حاجة كثير منها إلى ذلك؛ لغرابتها على القارئ المعاصر.

٢- غياب بقية معلومات التعليق على شكل المداخل؛ اكتفاء بمراجعة المداخل، ولاسيما معلومات الهجاء. وإن ورد في مرات قليلة جدًّا بعض صور العناية بالمعلومات الصرفية، كما في [الثغور والعواصم (١/ ٥٧٨)؛ جمع ثغر!].

ب- أما معلومات **التعليق على معنى المداخل**، أو معلومات النطاق المعرفي المبين عن هوية المداخل، فقد تمتعت بقدر كبير من الرعاية، وبدت وافية في كثير من الأحيان، وقد احتوت معلومات التعليق على معنى المداخل ما يلي:

١- رعاية جانب المعلومات الاشتقاقية في عدد من المداخل، عند استشعار الارتباط بين لفظ المدخل، وأصوله الاشتقاقية، بنوع مناسبة بين هذه الأصول وصورة المصطلح المستعمل في الموسوعة.

[انظر: تعريف الثغر في اللغة: كل فرجة في جبل، أو بطن واد، أو طريق مسلوك الثغور والعواصم (١/ ٥٧٨) / والحجابة (١/ ٦٩٨) من الفعل: "حجبه الرجل؛ أي: منعه من الدخول، وفلان يحجب للأمير؛ حاجبه"/ والحَرَّة (١/ ٧٢) وأصل الحرة لغة: " الحرة: أرض ذات حجارة سود نخرة؛ كأنما أحرقت بالنار"، وغير ذلك من المواضع].

ومثل هذه المعلومات مهمة في أمثال هذه المداخل؛ لارتباط غالبها بمفاهيم وتصورات معرفية، يحسن افتتاح ما تحتها من تعليق بمعلومات الاشتقاق الكاشفة؛ بما هي تمهيد وتهيئة لتحصيل المعنى الاصطلاحي في التاريخ الإسلامي.

٢- التعريف، وهو مجموع المعلومات - في هذه الحالة - التي تمنح القارئ تصورًا علميًّا عن المداخل من جهة:

* طبيعته،
* ونشأته،
* وتطوره التاريخي،
* وعوامل ظهوره،
* وسياقه الحضاري الذي أظهره،
* وما يترتب على ظهوره في حياة الأمة المسلمة، وتأثيره في حركة تاريخها،
* ومدة استمراره وبقائه، وأسباب ذلك،
* ومن كان وراءه.

وفي هذا السياق ظهر تفاوت معلومات التعليق من مدخل لآخر، تبعًا لمحددات كثيرة، هي:

* موقع المدخل التاريخي في المجال الفرعي (عام/ أو سياسي/ أو حربي/ أو اجتماعي؛ إلخ).
* والمرحلة التي ظهر فيها.
* وتأثيره في حركة التاريخ، والدور الذي لعبه على مسرح الحياة.
* وطبيعة القائمين الذين كانوا وراء الحدث التاريخي؛ إلخ.

أي ما يمكن التعبير عنه بالوزن النسبي للمدخل في التاريخ الإسلامي.

٣- مستوى الاستعمال:

إن مما يحسب لهذه الموسوعة عنايتها الظاهرة - وإن لم تكن مطردة في كل مداخلها - ببيان مستوى استعمال هذا المدخل أو ذاك، بطريقة موجزة ودالة؛ فقد حرصت على إضافة المجال الدلالي/ المعرفي الذي يميز بعض المداخل، على طريق التنوير للقارئ أو مستعمل الموسوعة، بمعنى أن ثمة حرصًا ظاهرًا بدا من الموسوعة بتهيئة الطريق بين يدي مستعملها، عن طريق وضع نوع المدخل، وتعيين انتمائه المعرفي الضيق للمفهوم التاريخي الحاكم.

ومن أمثلة ذلك:

- ١/ ٥١ = أجنادين (معركة) ٠/ ١/ ٤/ ١ = الأخشيديون (دولة).

١- / ٣٠٩ = بدر (غزوة) ٠/ ١/ ٧٦٠ = حطين (موقعة).

- ٢/ ١٤٤٩ = القسطنطينية (فتح) ٠/ ٢/ ١٠٣٩ = الرنج (ثورة).

وهذا وعي جيد بأهمية بيان مستوى الاستعمال في الموسوعات المختصة، متعدية المجالات الفرعية، كعلم التاريخ.

ومع امتداح هذا الوعي، فإن ثمة انتقادات على بعض ما شابه من ملاحظ سلبية، هي:

أولًا: عدم اطرادها في كل المداخل، مع الاعتراف بسهولة اكتشاف مستوى الاستعمال، من شهرة بعضها.

ثانيًا: تفاوت ظهور عناصر من معلومات مستوى الاستعمال، من مثل وضع بعض التواريخ تحت بعض المداخل الخاصة بالأحداث، أو المواقع، أو المعارك، أو الغزاوت؛ إلخ، من دون بعض.

ثالثًا: غياب بيان الفرع التاريخي الذي ينتمي إليه هذا المدخل أو ذلك؛ فقد ظهر من مقدمة المشرف على الموسوعة اتساع نطاق المجالات الفرعية لموضوعها، وهو التاريخ الإسلامي؛ مما كان يقضي تعيين عبارة كاشفة بصورة منتظمة أمام كل مدخل/ أو في بدايته: سياسي/ أو حربي/ أو حضاري/ أو ثقافي/ أو اقتصادي/ أو عام (شائع)؛ إلخ.

رابعًا: ظهر عدم انتظام في التعامل مع بعض معلومات التعليق على المعنى، ظهورًا نادرًا، من مثل:

١- إيراد مكافئات أو ترجمة لبعض المداخل، من مثل ما كان مع المدخل: (رأس الرجاء الصالح = Cape of Good hope٢/ ٩٧٥) بغير بيان للمسوغ العلمي وراء ذلك، ولاسيما أن الموسوعة مصنوعة لنوع مستعمل عربي، غرضه الاستيعاب والتحصيل، وليس من غرض الترجمة!

٢- إيراد بعض معلومات التأصيل اللغوي في أحيان وغيابها في أحيان أخرى (كما في تتبع التطور الدلالي لمصطلح التكرور ١/ ٥٧١) مثلا.

ج- توقيع المداخل:

من الأمور التي ترقى بمنزلة هذه الموسوعة حرصها على واحد من أهم محددات صناعة الثقة في معلوماتها، وهو المحدد المعروف في صناعة الموسوعات بمحدد توقيع محرر المداخل، فقد ظهر اطراد توقيع المداخل، باسم كاتبها أو محررها.

وهو ملمح مهم جدًّا على طريق تقدير القيمة العلمية لهذه الموسوعة.

ولعل أظهر الملاحظ على الموقعين على مداخل الموسوعة كامن في غياب بعض العلماء من ذوي السمعة العلمية الممتازة في مجالها، من مثل:

- أ.د. عبادة كحيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي كان حيًّا أيام إعداد الموسوعة.
- أ.د. قاسم عبده قاسم.
- د. محمد كمال الدين عز الدين.

د- مراجع الاستزادة من المعلومات:

من الأمور الجيدة في بناء هذه الموسوعة حرصها على تذييل كل مدخل بمجموعة من المراجع، وهو محدد مهم، محقق لآفاق التوسع العلمي لمن يحتاج إلى معلومات أخرى من جانب، وللحفاظ على مستوى التوازن بين حجوم التعليقات على المداخل مع ضمان خدمة المستعمل من جانب آخر.

وهو محدد مهم يرقى بمنزلة الموسوعة من جانبي: تعزيز الثقة فيها، وتعزيز منظور المستعمل، غير أن ملحظًا مهمًّا برز في تعامل الموسوعة مع عدد من المداخل، وهو غياب المصادر الأصيلة في موقع النص على مراجع الاستزادة، وحتى لا يكون الملحظ تحكيميًا، فإنني سأشترط في ذكر الأمثلة المنتقَدَة هنا ضرورة ظهور اسم المدخل في المراجع الغائبة عن البند الخاص في آخر كل مدخل بمراجع الاستزادة:

أولًا: في مراجع الاستزادة المرصودة على المدخل: (صفين ٢/ ١١٨٧) غاب المصدر المهم: وقعة صفين، لابن مزاحم المنقري، المتوفى سنة (٢١٢هـ)، وقد نشره محققًا الأستاذ/ عبد السلام هارون ١٣٨٢هـ = ١٩٦٢م، بالقاهرة.

ثانيًا: في مراجع الاستزادة المرصودة على المدخل: (الصقالبة ٢/ ١١٩٥) غاب المصدر المهم: الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة: "جزيرة صقلية"، لابن القطاع الصقلي، المتوفى سنة (٥١٥هـ)، وقد نشره محققًا بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٥م.

من جانب آخر، فقد غاب عن معلومات التعليق على المداخل كل الموضحات البصرية، مع أهميتها الخطيرة جدًّا، فمثلًا غابت الخرائط، وصور بعض المداخل المنتمية للتاريخ الحضاري، مع إمكان ذلك؛ من مثل: صورة للأزهر، أو جامع ابن طولون، أو دار الكتب المصرية؛ إلخ.

كما غابت صور بعض المداخل المنتمية للتاريخ الثقافي من بعض صور الوثائق، أو المعاهدات؛ إلخ.

وقد فوت هذا الغياب مجموعة من القيم العلمية المعترف بها، التي من شأنها الارتقاء بتقدير الموسوعة، والارتقاء بمستوى الموثوقية العلمية فيها.

كما تورطت الموسوعة في ما يمكن تسميته بالانحياز للإقليم مصدر صناعة الموسوعة، وهي الدولة المصرية، فقد بدا من فحص المداخل الملامح التالية:

أولًا: ارتفاع نسبة المداخل المنتمية لتاريخ مصر السياسي والحربي والثقافي والحضاري والاجتماعي والاقتصادي، مقارنة بغيرها من البلدان الإسلامية في العالم الإسلامي، فعلى حين ظهر مدخل للجامع الأزهر، مع تقدير منزلته في التاريخ الإسلامي - غابت مداخل للمسجد النبوي، وللمسجد الأقصى!

ثانيًا: غابت مداخل مهمة جدًّا تمثل - في الحقيقة - علامات فارقة في التاريخ الإسلامي، وتمثل علامات تحول مفصلي، من مثل: غياب مداخل لسقوط الأندلس، أو سقوط غرناطة، والجامعة الإسلامية، والعروة الوثقى، وغير ذلك.

٣- كشافات الموسوعة ١٦/ ١٤ب:

اكتفت هذه الموسوعة بكشاف واحد فقط للمداخل، وقد رتب ترتيبًا ألفبائيًّا هجائيًّا وفق منطوق لفظ المدخل في الاستعمال النهائي؛ قصدًا إلى المبالغة في التيسير على المستعملين،

مقرونًا بالمؤشر المكاني؛ أي الجزء والصفحة، موضع وروده والتعليق عليه، وهو الرابط كذلك.

وقد ابتدع هذا الكشاف أمرًا جديدًا هو: وضع مداخل غير معلق عليها في الموسوعة أصلًا؛ بغرض استكمال تنوير مداخل أخرى فيها، فقد أورد الكشاف - مثلًا - مدخلًا للأوس، وهو غير معالج فيها، وأحال في الكشاف على مدخل: الأنصار المعلق عليه، وكذلك التتار، والحجر الأسود، وقد تحقق من وراء هذا أمور، هي:

أولًا: التيسير على المستعملين.

ثانيًا: الترابط المفهومي، أو التماسك الدلالي بين عدد من المداخل.

ثالثًا: الكشف عن بعض العلاقات الدلالية بين عدد من ألفاظ المداخل، ولاسيما علاقتي الترادف.

وثمة ملاحظ تتعلق بقسم الكشافات، وهي:

أولًا: غياب مجموعة من الكشافات المهمة للغاية، من مثل: كشاف الأعلام التاريخية والأحداث التاريخية، وغيرها.

ثانيًا: عدم اطراد كلمات التنوير أمام جميع المداخل في الكشاف، فقد أورد الكشاف أمام عدد من المداخل بعض كلمات دالة عن مستوى الاستعمال، لكن منهجه لم يطرد.

د- موسوعة التاريخ الإسلامي: نموذج تحليلي لنص تطبيقي:

ومن أجل دعم ما سبق من مراجعة علمية نقدية، فستتوقف هذه المراجعة أمام نموذج تحليلي لنص تطبيقي، تسعى إلى تشريحه؛ لبيان خصائص منهج هذه الموسوعة، وملامحه التطبيقية .. والنص موضع التحليل هو: صحيفة المدينة (٢/ ١١٥٨- ١١٦٢).

يمثل تعيين هذا المدخل في هذه الموسوعة نموذجًا لما سبق وتقرر في هذه المراجعة، من تبني هذه الموسوعة لمفهوم الكتابة التاريخية الجديدة؛ حيث إن إفرادها مدخلًا لهذه الصحيفة يتجاوز حدود الكتابة التاريخية التقليدية، وهو تعبير عن الاحتفال بمجمل النشاط الإنساني، وهو نموذج جيد لتداخل المجالات التاريخية، فهذا المدخل صالح لأن ينتمي إلى التاريخ السياسي، والاجتماعي، والديني، والاقتصادي، والحربي معًا.

فهو تنظيم للعلاقات بين الطوائف المختلفة (سياسة)، وهو رعاية للاختلافات الدينية (دين)، ورعاية للمواطنة والتعايش الواحد (اجتماع)، وتنظيم للثروات، وتوزيع لها (اقتصاد)، وبناء لمنظومة من الدفاع المشترك (حرب)؛ إلخ.

وقد كتبت المقالة/ المدخل بتداخل منهجين في التأليف التاريخي، هما:

أولًا: الكتابة السردية.

ثانيًا: الكتابة البنائية.

وقد تضمنت ما يلي:

١- موقع الصحيفة على خريطة الأحداث التاريخية في تأسيس الدولة الإسلامية.

٢- اختيار عنوان المدخل من داخل نص الصحيفة (تعليل التسمية).

٣- مكونات الصحيفة، تتكون من سبعة وأربعين بندًا.

٤- تحليل أهم بنود الصحيفة؛ وهي:

أ- أطراف من تعنيهم الصحيفة.

ب- تغيير معيار انتماء الأمة من العرق إلى الدين.

ج- البنود التسعة الأولى لم تأت لتهدم الهويات.

د- تحديد طريقة التعامل مع اليهود.

هـ- تكرار التأكيد على حقوق اليهود وواجباتهم في تحمل أعباء القتال مع المسلمين (تأكيد مبدأ المواطنة الكاملة).

و- حسم مهمة تعيين رئاسة النظام في المدينة، وهو للنبي، وله وحده سلطة حسم النزاع.

٤- **توقيع كاتب المدخل**، وهو الدكتور عبد الرحمن سالم، وهو واحد من أعلام المختصين في التاريخ الإسلامي المعاصرين، في واحدة من أعرق الكليات، وهي كلية دار العلوم، بجامعة القاهرة.

وهو محدد مهم للغاية؛ لمنح الثقة في مادة المعلومات المعرفة لهذا المدخل أو المصطلح.

٥- **تذييل المدخل بعدد من المصادر للاستزادة**، وهي ثلاثة:

أ- فقه الشورى والاستشارة، للدكتور توفيق الشاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ب- في النظام السياسي، للدكتور محمد سليم العوا.

ج- محمد في المدينة، لوات (النص الإنجليزي).

وعلى الرغم من أصالة هذه المصادر الثلاثة، فقد غاب عن هذا البند التأسيسي في المدخل/ الموسوعي بعض المصادر بالغة الأهمية، من مثل:

أ- مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي (الخلافة الراشدة، للدكتور محمد حميد الله (وهو من المراجع البنائية في المدخل).

ب- وثيقة المدينة: دراسات في التأصيل الدستوري في الإسلام، تحرير عبد الأمير زاهد (مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت سنة ٢٠١٤م).

أما من جهة ما يمكن أن يقدم للتعليق على هذا المدخل من انتقادات، فيمكن أن نشير إلى ما يلي:

أولًا: السكوت عن أشياء تمثل مثارًا لتساؤلات مهمة، من مثل: تاريخ كتابة الصحيفة، وهل كتبت دفعة واحدة أم على فترات متعاقبة؟

ثانيًا: توثيق نص الصحيفة، والحكم عليه حديثيًّا، وقد قرر دارسو الحديث أن الصحيفة - بمجموع طرقها - ترقى إلى مرتبة الأحاديث الصحيحة، كما جاء في: وثيقة المدينة: دراسة حديثية [ضمن وثيقة المدينة: دراسات في التأصيل الدستوري في الإسلام، ٢٠١٤م؛ ص ٤٩ لعبد الجبار زين العابدين خلف].

ثالثًا: مستويات ما تنظمه الصحيفة من شئون الحياة.

٥- **خاتمة**

توقفت هذه المراجعة العلمية النقدية لموسوعة التاريخ الإسلامي أمام واحد من الأعمال المرجعية المنتمية إلى فرع الموسوعات المختصة؛ مستهدفة تقييمها ونقدها في ضوء أصول صناعة الموسوعات الحديثة.

وكشفت عن مجموعة من الخصائص الإيجابية فيها تتعلق بما يلي:

أولًا: تصميم الموسوعة.

ثانيًا: عناصر البنية الكبرى.

ثالثًا: البنية الصغرى.

رابعا: محدد الثقة في معلوماتها (توقيع المداخل).

خامسًا: محدد توسيع المعلومات (مراجع الاستزادة).

كما رصدت عددًا من السلبيات من وجهة نظر نقاد الموسوعات.

إن هذه الموسوعة خطوة على طريق تراكم العناية بالموسوعات؛ بما هي أعمال مرجعية نوعية ومهمة جدًّا.

ومثال دال على ما تتعرض له الأعمال المرجعية المختصة في اللسان العربي من تطور ومرونة معًا.

المراجع

١- مدخل لدراسة المراجع، الدكتور عبد الستار الحلوجي والدكتورة منى شاكر، مكتبة البخاري، بالقاهرة ٢٠١٠م.

٢- موسوعات العلوم العربية، لأحمد تيمور باشا، المركز العربي للبحث، القاهرة، ١٩٨٣م.

٣- موسوعة التاريخ الإسلامي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ٢٠١٥م.

٤- نظرات في الكتابة التاريخية الجديدة، لبيتر بوركي، ترجمة: قاسم عبده قاسم، المركز القومي للترجمة، القاهرة ٢٠١٠م.

٥- وثيقة المدينة: دراسات في التأصيل الدستوري في الإسلام، تحرير: عبد الأمير زاهد، مركز الحضارة، بيروت، ٢٠١٤م.

٦- وقعة صفين، لنصر بن مزاحم، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة ط (٣) ١٩٨١م.

٢/٢
الموسوعة المصورة للرموز التقليدية
مراجعة علمية نقدية

مدخل: نحو توطين لثقافة صناعة الموسوعات في العربية!

يمثل ظهور الموسوعة - بما هي عمل مرجعي - أمرًا حديثًا بصورة نسبية في الثقافة العربية في العصر الحديث.

ولعل هذا الحكم يدعمه أمران ظاهران جدًّا، هما:

أولًا: استمرار الجدل حول المكافئ الترجمي للمصطلح الغربي "encyclopedia"، وهو الجدل الدائر حول اختيار أحد المكافئات التالية:

أ. الموسوعة.

ب. دائرة المعارف.

ج. الجمهرة.

د. المعلمة.

صحيح أن الانتصار يوشك أن يعلن لاختيار المكافئ: الموسوعة، لكن استمرار الجدل، وإن خفتت حدته يدعم ما نقرره بهذا الصدد.

ثانيًا: قلة المنجز من الموسوعات في اللسان العربي في العصر الحديث، وقلة المنقول منها بطريق الترجمة من اللغات الأخرى.

وانتشار نقل الموسوعات من اللغات الأجنبية أمر مهم جدًّا؛ لتوطين ثقافة صناعة الموسوعات في الثقافة العربية المعاصرة، ودعم استقرار أصول هذه الصناعة، ومبادئها.

ومتابعة ما يصدر من الموسوعات في أي من هذين الاتجاهين؛ اتجاه الإنجاز الأصيل باللسان العربي، واتجاه النقل بالترجمة - بالنقد والمراجعة العلمية - مهم جدًّا في دعم هذه

الصناعة العلمية، ودعم استقرار أصول هذه الصناعة، ومبادئها عن طريق توطين نماذجها العملية أو التطبيقية في اللسان العربي.

(١) الموسوعة المصورة للرموز التقليدية:

المادة والبناء، والانتماء المعرفي:

هذا عمل صدر سنة ١٩٧٨م في لغته الأصل، وهي الإنجليزية، ثم صدرت ترجمته العربية عن المركز القومي للترجمة، بالقاهرة سنة ٢٠١٤م!

نقله إلى العربية الأستاذ/ مصطفى محمود [انظر في التعريف؛ ص ٧٠٨- ٧٠٩ من الترجمة العربية].

ويتكون هذا العمل معماريًّا أو هيكليًّا من ثلاثة أقسام متمايزة، هي:

(١) المادة والبناء.

١/ ١ المقدمة.

١/ ٢ متن الموسوعة.

١/ ٣ الببليوجرافيا (مصادر الموسوعة).

(٢) الانتماء المعرفي.

١/ ١ مقدمة الموسوعة:

في برامج فحص البنية الكبرى للأعمال المرجعية - من نوع المعجمات والموسوعات - تشغل الواجهة أو مقدمة العمل front matter مكانة مهمة؛ بما هي المدخل للتعامل مع الموسوعة، وتيسير استعمالها من جانب مستعمليها.

وقد ضمت واجهة الموسوعة هذه ما يلي:

أ. صفحة العنوان:

وقد ظهر فيه المؤشر اللغوي المعين على تعيين الانتماء المعرفي لهذا العمل المرجعي، حيث جاء العنوان: الموسوعة المصورة للرموز التقليدية، وهو ترجمة دقيقة للعنوان الأصلي الذي هو: (An illustrated encyclopaedia of traditional symbols)، وقد ظهر من التعريف بصانعة الموسوعة - جي.سي. كوبر - أنها مختصة بدراسة الفلسفة والأديان المقارنة والرموز،

وهو الأمر الذي يمنح مستعملي هذه الموسوعة درجة من الموثوقية المبدئية، تحملهم على الاطمئنان الأولي للعمل، ومحتوياته.

وقد كان الأولى وضع هذا التعريف العلمي بمصنفة الموسوعة تحت اسمها مباشرة على غلاف الموسوعة (صفحة العنوان).

ب. مقدمة الموسوعة:

ضمت مقدمة الموسوعة مجموعة من المعلومات المهمة والمفيدة لمستعمليها، وقد توزعت هذه المعلومات على ما يلي:

أولًا: أهمية دراسة الرموز؛ بما هي الأداة الأقدم للمعرفة، والأهم في طرق التعبير (ص/٥).

ثانيًا: بيان الفروق بين الرمز والشعار والاستعارة؛ فالرمز "يعبر أو يبلور جانبًا من خبرة مباشرة من الحياة والحقيقة" (ص/ ٦)، أما الشعار أو الخاصية "فعادة ما تصور شيئًا ماديًّا ملموسًا، بيد أنه بدوره يحوي شيئًا من الخاصية الرمزية".

ثالثًا: بيان طبيعة الرموز التقليدية التي تقوم و"تفترض ... أن الكائن السماوي هو الأصل البدئي، وأن الكائن الأرضي ما هو إلا انعكاس له أو صورة منه؛ أي أن الأعلى يتضمن معنى الأدنى" (ص/ ٧).

رابعًا: بيان قدر من المنهجية في بناء المداخل والتعليقات التي عليها، وقد تمثل ذلك في بيان ما يلي:

أ. "إبراز التفسير العام أو العالمي المقبول للرمز".

ب. توضيح دلالاته المتعددة في مختلف الثقافات والحضارات والمواقع الجغرافية" (ص/٨).

خامسًا: بيان بعض إرشادات الاستعمال، من مثل:

- "وحينما لا نخص بالذكر ثقافة معينة، فإنما يدل هذا على القبول العام لمعنى الرمز في أي مكان يوجد به".

وقد أخلت هذه المقدمة بعدد من المعلومات المهمة التي ينص عليها دارسو البنية الكبرى للأعمال المرجعية، بما يلي:

أولًا: بيان منهج ترتيب مداخل الموسوعة، وهو النظام الألفبائي في الأصل الإنجليزي، (وفي الترجمة العربية).

ثانيًا: بيان إرشادات الاستعمال.

ثالثًا: طريقة ترتيب المعلومات تحت كل مدخل، وبأية ثقافة تبدأ الموسوعة.

رابعًا: بيان الاختصارات.

خامسًا: بيان طريقة جمع مادة الموسوعة.

سادسًا: بيان مصادر الموسوعة، وأنواعها، وطريقة التعامل معها.

سابعًا: بيان أهداف الموسوعة، والغرض من تصنيفها.

ثامنًا: بيان أنواع المستعملين.

(٢.١) متن الموسوعة:

يمثل المتن أو الصلب middle matter العصب من أي عمل مرجعي، ولاسيما المعجمات والموسوعات.

ومتن الموسوعة هو مادة معلوماتها التي اتخذت الشكل التالي:

المدخل: **- معلومات التعليق على المدخل**

وقد رتبت كوبر مداخل هذه الموسوعة وفقًا للنظام الهجائي الألفبائي الإنجليزي، فجاءت في خمسة وعشرين بابًا كما يلي:

١. باب ال A (ص/ 11).

٢. باب ال B (ص/ 41).

٣. باب ال C (ص/ 81).

٤. باب ال D (ص/ 159).
٥. باب ال E (ص/ 190).
٦. باب ال F (ص/ 207).
٧. باب ال G (ص/ 241).
٨. باب ال H (ص/ ٢٥٨).
٩. باب ال I (ص/ 292).
١٠. باب ال J (ص/ 299).
١١. باب ال K (ص/ 308).
١٢. باب ال L (ص/ 314).
١٣. باب ال M (ص/ 348).
١٤. باب ال N (ص/ 378).
١٥. باب ال O (ص/ 414).
١٦. باب ال P (ص/ 428).
١٧. باب ال Q (ص/ 465).
١٨. باب ال R (ص/ 470).
١٩. باب ال S (ص/ 497).
٢٠. باب ال T (ص/ 585).
٢١. باب الU (ص/ 639).
٢٢. باب ال V (ص/ 643).
٢٣. باب ال W (ص/ 654).
٢٤. باب ال Y (ص/ 685).
٢٥. باب ال Z (ص/ 692).

وهذا هو الترتيب الخارجي للمداخل، وقد رتبت كوبر المداخل في كل باب/ أو فصل ترتيبًا هجائيًّا ألفبائيًّا كذلك وفق النظام الإنجليزي، مراعية الثواني والثوالث؛ إلخ.

ومن المهم ملاحظة أن المدخل الواحد الذي ينضوي تحته مداخل فرعية لم تخضع للمنهج الهجائي الألفبائي في ترتيبها؛ فمثلًا في المدخل (الأعداد) Numbers (ص/ ٣٨٥) أوردت كوبر تحته واحدًا وعشرين مدخلًا فرعيًّا هي (الصفر/ واحد/ ثلاثة عشر/ عشرون/ أربعون - سبعون/ ٦٦٦/ ٨٨٨ بهذا الترتيب العددي وليس الألفبائي.

وقد حافظ المترجم على هذا النظام، ولم يعدله بعد ترجمة الموسوعة، ولم يلحق بالموسوعة ملحقًا، أو كشافًا مرتبًا وفق الألفبائية العربية مقرونة بالمداخل الإنجليزية؛ تيسيرًا على المستعمل العربي.

وهذا الإخلال أوقع المستعمل العربي في حرج، وضيق، وصعب من استعماله لها؛ لأنه يفترض في القارئ العربي معرفة المصطلح أو الرموز في اللغة الإنجليزية؛ لكي يستطيع الوصول إلى المعلومات الواردة تحته.

أما التعليق على المداخل فقد ضم معلومات كثيرة تندرج - في الغالب - تحت ما يعرف في برامج البنية الصغرى للأعمال المرجعية باسم التعليق على المعنى.

لقد تركزت المعلومات الواردة تحت المداخل على ما يلي:

أولًا: مفهوم الرمز، والدلالة التي يرمز إليها بشكل عام.

ثانيًا: نسبة الدلالات إلى الثقافات المختلفة، إن لم يكن الرمز عالميًّا، أو عامًّا في الثقافات المختلفة.

ثالثًا: ترتيب الثقافات والحضارات ألفبائيًّا في الغالب.

ومن الأمثلة الدالة على هذه المنهجية ما جاء من معلومات التعليق على مدخل: (الهلال) crescent (ص/ ١٤١): حيث أوردت كوبر المعلومات كما يلي:

أولًا: الدلالة العامة للرمز (ص/ ١٤١): يعد "القمر الهلالي الرمز الأول بلا منازع للأم العظيمة وملكة السماء القمرية، وهو الصفة المميزة لكل إلهات القمر، فهو مبدأ الأنوثة

الكامن، وكل من الأم العذراء وعذراء السماء، ويصور القمر المتبدل: التغير في العالم المدرك".

ثانيًا: بيان نسبة الدلالات الخاصة بهذا الرمز في الثقافات المختلفة، فهو في:

أ. ثقافة الكلتيين: يرمز للخلود.

ب. وفي المسيحية: يرمز لمريم العذراء، وملكة السماء.

ج. وعند المصريين: يرمز لإيزيس ملكة السماء، وصخور.

د. وعند الهندوس: يرمز للوليد، والنماء السريع، والكأس الذي يحوي إكسير الخلود.

هـ. وفي الإسلام: يرمز للسيادة.

ز. وعند السومريين: يرمز لإله القمر.

ومن هذا يتضح لنا عناية التعليقات على المداخل ببعض معلومات المعنى، وهي:

أولًا: التعريفات، أو الدلالات والتصورات.

ثانيًا: مستوى الاستعمال، وهو الذي يتعين بذكر الثقافة أو الحضارة أو الموقع الجغرافي قبل بيان المعنى أو الدلالة أو التصور.

وقد غاب عن معالجات التعليق على المداخل المعلومات التالية:

أولًا: معلومات التعليق على الشكل من هجاء المداخل، وطريقة نطقها، وضبطها، وما يتعلق بمعلومات الصيغة الصرفية، وبعض معلومات التمديد الجرماطيقي (المعلومات النحوية).

ثانيًا: بعض معلومات التعليق على المعنى، من مثل: التأثيل أو الاشتقاق etymology

ومن الجدير بالذكر أن الموسوعة استعملت نوعين من أنواع طرق شرح المعنى، هو:

أولًا: طرق شرح المعنى الأساسية، وهي الطرق التي استعملت الأقوال الشارحة أو اللغة. وقد غلب على هذه الطرق استعمال طريقتين على وجه التعيين، هما:

أ. طريقة الشرح بالمرادف في مداخل التعليق، عند إرادة بيان المعاني والدلالات العامة للرموز، يقول مثلًا في التعليق على المدخل الشرق/ East/ ص١٩٤): "الشرق: الفجر، والربيع، والأمل، والطفولة".

وهو أكثر الطرق شيوعًا في التعليقات على المداخل.

ثانيًا: طريقة الشرح بالتعريف المحكم، وهو التعريف الذي يحرص على جمع السمات الدلالية الفارقة المميزة للرمز؛ أي شرحه بطريقة ذكر القيود الجامعة لسماته وصفاته، المانعة من اختلاطه بغيره.

ثالثًا: طرق شرح المعنى المساعدة، وهي الطرق التي اعتمدت على الصور والرسوم، أو الموضحات البصرية، وهو ما يميز هذه الموسوعة، ويرقى بدرجة بيانها للدلالات والتصورات، وقد ظهر من تحليل عنوانها أن الاعتماد على الموضحات كان أمرًا مقصودًا متعمدًا من قبل كوبر.

وقد تنوعت الصور والرسوم في هذه الموسوعة، وتوزعت على الأنواع التالية:

أ. التماثيل (انظر: ص٦٤٢).

ب. صور الملابس (انظر: ٤٨٤).

ج. صور حلي ذهبية (انظر: ص٤٤٦).

د. صور أطباق خزفية مزخرفة (ص٢٤٠).

هـ. لوحات فنية (ص٢١٣).

و. صور لصناديق خشبية منقوشة (ص١١٨).

ز. صور لوجوه إنسانية (ص٦٧).

ح. صور لطيور وحيوانات (ص٥٨).

ط. صور لنباتات وأشجار (ص٤٣١).

ك. صور ورسوم لكائنات خرافية (ص٤٤١).

ل. صور لأدوات منزلية وأثاث (ص٤٧٦).

م. صور لأسلحة متنوعة (ص٦٣٢).

ن. صور لجدران ومبان (ص٦٧٨).

وعلى الرغم من قصد كوبر إلى صناعة موسوعة مصورة، فإن الصور والرسوم، وجملة الموضحات البصرية لم تغط مداخل الموسوعة كاملة، ولا بلغت نصف المداخل!

وقد جاءت المصورات في الطبعة العربية مستعملة اللونين الأبيض والأسود؛ مما فوت كثيرًا من المعلومات المهمة جدًّا، التي تضر بتحليل الألوان، ودلالاتها المختلفة.

وقد ظهر من كوبر نوع وعي بأثر تطبيقات النظام الألفبائي على تشتت كثير من المداخل المترابطة المتداخلة والمتعالقة، فلجأت إلى تقنية الإحالات بين المداخل التي بينها نوع من العلاقات الدلالية؛ كالتضمين والاشتمال وغيرهما. وهي التقنية التي أسهمت في تحقيق قدر كبير من التماسك المفهومي بين المداخل التي تنتمي لحقول دلالية أو مجالات دلالية متقاربة أو متحدة.

ومما يلاحظ على بناء متن الموسوعة ما يلي:

أولًا: غياب التوثيق أو الاستشهادات المرجعية في كل مدخل.

ثانيًا: غياب مراجع الاستزادة في نهاية التعليق علي كل مدخل، وهو نوع إخلال ناتج من إهمال وظيفة الموسوعة التي تروم التعليم والتثقيف، وليس الإعانة أو المساعدة البحثية، كالمعجمات.

ثالثًا: ذكر بعض الدلالات لعدد من الرموز من دون وجود مصادر معرفية داعمة لما ذكر من هذه الدلالات.

ففي التعليق على المدخل (الهلال: ذكر أنه دال على السيادة في التصور الثقافي الإسلامي، من دون أن يكون هناك مصدر معرفي يدعم هذه الدلالة، وهو ما حمل المسئول عن تحرير الموسوعة أن يعلق في الهامش (ص/ ١٤٢) قائلًا على هذه الدلالة أو المعنى: "لا أصل له. وربما كان المقصود علم دولة تركيا وريثة الخلافة العثمانية؛ حيث كان لفظ تركي مرادفًا للفظ "مسلم" في الثقافة الأوربية بصفة عامة"!. وانظر التعليق كذلك في هامش (ص/ ٣٦٧).

رابعًا: تعميم بعض الدلالات الخاصة ببعض الرموز، وسحبها على عموم ثقافة ما، مع كون هذه الدلالات لهذه الرموز مغلقة وغير عامة؛ أي خاصة بتيار أو فريق بعينه، ومن ذلك دلالة الأصابع الأربعة في التعليق على مدخل (اليد/ ص٢٦١) بأنه رمز دال على رفاق النبي ﷺ الأربعة: فاطمة/ وعلي/ والحسن / والحسين.

وهو كما تقرر هيئة تحرير الموسوعة: "هذا القول أقرب إلى الرؤية الشيعية"!.

(٣.١) ببليوجرافيا الموسوعة (مصادر الموسوعة):

لم يرد في آخر أقسام الموسوعة إلا قائمة بمراجعها ومصادرها المستعملة فيها. وقد ضمت مجموعات من المصادر موزعة على الحقول المعرفية المختلفة، الخادمة لموضوع الموسوعة، وهذه المجموعات هي:

أولًا: مجموعة دراسات الرموز، من مثل: "بايلي" "baily" بعنوان the lost language of symbolism، وكتاب "بلونت" Blount عن علم الرموز: the science of symbols وكتاب "بورا" Bowra: تراث الرمزية: the heritage of symbolism" وغيرها.

ثانيًا: مجموعة مصادر تاريخ الأديان، والأديان المقارنة: ككتاب إنجه Inge معجم الأديان والملل dictionary of religion and religions.

ثالثًا: مجموعة مصادر الأساطير.

رابعًا: مجموعة مصادر دراسة "الإثنوجرافي" أو علم الثقافات.

خامسًا: مجموعة مصادر دراسات الأعراق والأجناس البشرية.

سادسًا: مجموعة مصادر التاريخ القديم لحضارات العالم، وثقافاته القديمة.

سابعًا: مجموعة مصادر الثقافة والحضارة.

ثامنًا: مجموعة مصادر الآثار والمعابد.

تاسعًا: مجموعة الأدلة الخاصة بالأماكن والمدن، والمباني وغيرها.

عاشرًا: مجموعة كتالوجات اللوحات الفنية، والنُّمِّيَّات (المسكوكات) وصور التماثيل من معجمات الرموز، والشعارات، والصور والرسوم، وموسوعاتها، ومعجمات الأديان، واتجاهات العبادة في الحضارات المختلفة.

وقد نهض هذا الجزء بمجموعة من الوظائف المهمة للغاية، فقد قامت هذه الببليوجرافيا (المصادر) بالوظائف التالية:

أولًا: الوظيفة التأسيسية التكوينية؛ وهو ما يعني أنها مثلت المصادر التي شكلت جسم الموسوعة أو متنها، فهي التي نقلت منها كوبر معلومات موسوعاتها، والصور المصاحبة الموضحة لمعلومات ما تحت المداخل.

وهي الوظيفة التي تجلت في:

أ. بناء المداخل.

ب. معلومات التعليق على المداخل على الثقافات والحضارات المتنوعة.

ج. الصور والموضحات البصرية المتنوعة.

ثانيًا: الوظيفة التدعيمية، ويقصد بها ما نهضت بتقديمه من معلومات المصادر الداعمة لدلالات الرموز، والتصورات والمفهومات الواردة تحت كل رمز/ مدخل، وهذه الوظيفة تتجلى في:

أ. الأقوال الشارحة. ب. البراهين والأدلة المؤكدة للدلالات المذكورة.

ثالثًا: الوظيفة الاستدراكية:

ويقصد بها ما قامت به هذه المصادر من تكملة عدد من المعلومات الخاصة ببعض تعليقات المداخل التي جاءت ناقصة قبل ظهور هذه الموسوعة، وهي الوظيفة التي انعكست في:

أ. الروح التأريخية لدلالات الرموز في الثقافات والحضارات والمواقع الجغرافية المتنوعة.

ب. سد الفجوات التأريخية التي كانت سابقًا من خلال تتبع دلالات الرموز المصورة في ثقافات الإنسانية بشكل شامل واستيعابي.

رابعًا: الوظيفة التصحيحية:

وهي قريبة الشبه بالوظيفة الاستدراكية، غير أنها تختص بتصحيح ما ورد من دلالات خاطئة في بعض المصادر لبعض الرموز التقليدية المصورة، وحرصت التعليقات على مداخل هذه الموسوعة على تصحيحها، وبيان أخطائها، وذكر الصواب مع الأدلة والبراهين.

ولكن هذه المصادر – مع ما تمنحه لمستعملي هذه الموسوعة من موثوقية واطمئنان لما ورد فيها من معلومات ثرية ومتنوعة – جاءت مجموعة عامة في فهرست المراجع.

ولو أن كوبر – بجانب ذلك – وثقت كل مدخل والتعليق الذي عليه من مصادره التي استقيت منها المعلومات، ثم ألحقت كل مدخل والتعليق الذي عليه بمراجع للاستزادة – لكانت درجة الموثوقية في الموسوعة أعلى بمراحل كبيرة جدًّا.

ملاحظات نقدية على بنية الموسوعة:

ومما هو جدير بالذكر أن هذه الموسوعة، على الرغم من مكانتها في اللغة العربية وفرادتها، فإن ثمة ملاحظ نقدية عليها، يرجى أخذها في الحسبان – إن تهيأت الظروف لطبعة تالية – وهي كما يلي:

أولًا: ضرورة تعديل ترتيب المداخل؛ ليكون وفق الألفبائية العربية؛ أي يكون الترتيب على وفاق المكافئات العربية، أو على الأقل صناعة ملحق في صورة كشاف (عربي/ إنجليزي)، مدعوم بمؤشرات مكانية لأرقام صفحات ورود كل مدخل؛ ليتيسر للمستعمل العربي سهولة استعمال هذه الموسوعة، وهذا مبدأ مستقر في البحث في المعجم والموسوعة، يعرف برعاية منظور المستعمل.

ثانيًا: ضرورة توثيق كل مدخل، والتعليق الذي عليه من المصادر التي نقل منها.

ثالثًا: ضرورة توثيق الصور والموضحات البصرية ببيان المصادر التي نقلت منها.

رابعًا: ضرورة إضافة عنصر في نهاية كل مدخل، والتعليق عليه بمجموعة مراجع إضافية للاستزادة؛ خضوعًا لفهم وظيفة الموسوعة المتمثلة في: التعليم والتثقيف.

خامسًا: لوحظ كذلك قدر من "العنصرية" أو التعصب "الإثني" أو القومي، وكانت تجلياته ظاهرة في طغيان رعاية دلالات الرموز في الثقافات الغربية تعيينًا.

سادسًا: غياب دلالات الرموز في الثقافات الإفريقية والبدائية بشكل ظاهر.

(٢) الانتماء المعرفي للموسوعة:

إن فحص مادة هذه الموسوعة ومعلومات ما تحت المداخل، يكشف عن تنوع معرفي مذهل، وعن انتماءات معرفية كثيرة بدرجة ظاهرة.

إن القول بصعوبة تعيين الانتماءات المعرفية لهذه الموسوعة يعد قولًا صحيحًا بامتياز، ولكن ثمة انتماءات معرفية بادية الاستعلان، يمكن رصدها فيما يلي:

١.٢ الدراسات الثقافية:

إن فحص مادة الموسوعة في قطاعات كبيرة منها، وتحليل كثير من مصادرها يكشفان عن انتمائها لمجال الدراسات الثقافية/ الإثنولوجية.

٢.٢ اللسانيات:

كما يكشف تحليل معلومات الموسوعة عن انتماء هذه الموسوعة لمجال اللسانيات؛ بما أن الرموز تشكل لغة، وتحمل دلالات وتصورات ومفاهيم.

ولعل فرع السيميائيات بما يدرسه من أيقونات وصور وشعارات، هو أكثر المجالات ابتهاجًا بصدور هذه الموسوعة.

٣.٢. تاريخ الأديان:

والموسوعة نص موسع جدًّا في تاريخ الأديان، وتطور الرموز فيها، وعلاقاتها ببعض، والانحرافات التي لحقت التصورات السماوية على الأرض من وجهة نظر الديانات السماوية.

٤.٢ تاريخ الأفكار:

والموسوعة مصدر خصب لإعادة بناء تاريخ الأفكار في الثقافات الإنسانية المتنوعة، وتفاعلها واقتراض بعضها من بعض، وتأثير بعضها في بعضها الآخر، وتمدد الرموز حقل خصب لقياس تطور الأفكار، ولاسيما الأفكار الدينية، والطقوسية منها على وجه التعيين.

٥.٢ علم اجتماع الدين:

والموسوعة – مع كل ذلك – مصدر مهم جدًّا لدراسة سوسيولوجيا الدين، وتطور ممارسة الشعائر والطقوس، وما دخل عليها على امتداد الزمان.

٦.٢ علم اجتماع الحضارة:

والموسوعة ترصد ما أنجزه الإنسان على الأرض من منجزات مادية حضارية متعاطية مع الأفكار الدينية، أسهمت على امتداد التاريخ في أداء الشعائر والطقوس، وتجسيد المعاني السماوية والدينية، والمقدسات.

٧.٢ تاريخ الفنون:

والموسوعة مصدر لتجلي المقدس، وتجلي الجميل بما ضمته من مصورات غطت مساحات شاسعة من حقول المعرفة الدينية، شملت المعاني الإيمانية، وطقوس العبادات، وحشدت الأفكار المختلفة في صور تماثيل، ولوحات فنية متنوعة.

٨.٢ علم الآثار:

والموسوعة – بما ضمته من مداخل لرموز ومصورات أثرية في صورة تماثيل، ولوحات، ونميات (مسكوكات)، أو ملابس – تعد مصدرًا مهمًّا من مصادر علم الآثار القديمة يمكن اعتمادها مصدرًا ثانويًّا في هذا الميدان المعرفي.

٩.٢ علم النقد:

إن هذه الرموز التي تسربت في الآداب العالمية تمثل كنزًا في أيدي علماء النقد الأدبي، وقد سبق في مفتتح هذه المقالة الفرعية من هذه المراجعة العلمية النقدية تقرير صعوبة إحصاء الانتماءات المعرفية لهذه الموسوعة، وهو الحكم الذي ما زال صحيحًا من وجهة نظرنا؛ نظرًا للخصوبة المعرفية، والكثافة العلمية التي تندرج تحتها معلومات التعليق على المداخل المختلفة فيها.

٣. وظائف الموسوعة المصورة للرموز التقليدية: قراءة في خطاب الاستثمار:

إن تحليل معلومات الموسوعة المصورة للرموز التقليدية – من وجهة نظر الأدوار التي يمكنها القيام بها في الثقافة العربية المعاصرة، أو ما يعرف باسم الوظائف المتوقعة – كثيرة، يمكن أن نرصد منها ما يلي:

١.٣ الوظيفة المعرفية:

إن المجالات المعرفية أو الانتماءات المعرفية التي سبق رصدها في المقالة السابقة هنا تكشف عن المدى المعرفي الممكن النهوض به. وهو ما يعني أن ميادين توظيف هذه الموسوعة، وميادين استثمارها في الثقافة العربية المعاصرة كثيرة، تغطي ميادين دراسات الأديان المقارنة والدراسات الثقافية، وتطور الإنسان، والآداب المقارنة، والسيميائيات، وتطور العقل البشري، وتاريخ الأفكار، واللسانيات، والبلاغة المقارنة، وتحليل النصوص

الأدبية، والدينية، وفهم التقاليد المتوارثة، وعلاقات الحضارات، وانتقال الأفكار، والإيتمولوجي، أو التأثيل اللغوي للرموز الرحالة المهاجرة من ثقافة إلى أخرى، وغير ذلك من المجالات المعرفية التي يمكن خدمتها بهذه الموسوعة.

٣.٢ الوظيفة التاريخية:

إن كثيرًا من معلومات هذه الموسوعة ذات منزع تاريخي، وهو ما يصلح معه إعادة تصور الحلقات المفقودة في تاريخ بعض الثقافات، ولو بشكل غائم ومبدئي.

٣.٣ الوظيفة الحضارية:

إن واقع التشابه بين دلالات الرموز المصورة التقليدية في الثقافات والحضارات والمواقع الجغرافية المتنوعة – ربما يدعم نشاطات السلم العالمي، والدعوة إلى تآخي العالم، والتقريب بين حدوده، وتقليل الصراعات بين بلدانه، باستثمار هذه الرموز في خلق خطاب مشترك يفهمه الإنسان في كل ثقافة.

وهو ما يعني أن هذه الرموز يمكنها أن تخلق لغة دولية أو عالمية، تراهن على تعظيم المشترك الثقافي والحضاري بين الثقافات البلدان المختلفة وحضاراتها؛ مما يسهم في التقدير والاحترام المتبادلين.

٤.٣ الوظيفة الدينية:

إن تحليل كثير من المعلومات التي وردت في التعليق على كثير من الرموز المصورة التقليدية، يدعم الحقيقة الإسلامية التي تقرر أن التوحيد هو الفكرة الأصيلة والجوهرية التي افتتح بها الإنسان حياته على الأرض، بموجب منطوق الكتاب العزيز، الذي يقرر أن الوحي كان أمرًا أوليًّا صاحب النزول الأرضي لآدم وذريته، ثم حدث نوع من الانحراف والنسيان، ظهرت معه الديانات الإشراكية والوثنية التي كانت تستوجب بين الحين والآخر إرسال الرسل والأنبياء والكتب والرسالات.

خاتمة:

إن هذه المراجعة العلمية النقدية تنطلق من إيمانها بأن المراجعات العلمية بحوث كاملة.

وقد كشفت هذه المراجعة النقدية عن مجموعة من النتائج، من مثل:

أولًا: سدت هذه الموسوعة فراغًا رهيبًا في المكتبة العربية، فلم يكن قبلها ثمة عمل مرجعي في مستواها ولا حجمها ولا كثافة مداخلها ولا تنظيمها، انشغل بالتعليق على الرموز التقليدية المصورة.

ثانيًا: تمتعت الموسوعة بقدر طيب من شرائط صناعة الموسوعات، فجاءت بنيتها الكبرى شاملة المكونات التالية:

أ. واجهة الموسوعة.

ب. متن الموسوعة أو صلبها.

ج. ببليوجرافيا الموسوعة.

ثالثًا: أخلت الموسوعة بعدد من الأصول التي يجب ظهورها في المقدمة، تتعلق بمعلومات منهج الترتيب للمداخل، وإرشادات الاستعمال.

رابعًا: أخلت الموسوعة بعدد من معلومات التعليق على المداخل؛ فقد غابت معلومات التعليق على شكل المداخل تمامًا.

خامسًا: تراجعت كثافة استعمال الصور والرسوم، والموضحات البصرية، فلم تغط كل المداخل، مع القصد إليها وتعمدها.

سادسًا: أخلت الترجمة العربية بكشاف جامع للمداخل العربية؛ مما صعب معه استعمال الموسوعة على المستعملين العرب بشكل ظاهر.

ومع كل ذلك فإن هذه الموسوعة تعالج موضوعًا مهمًّا للغاية، متعدد الاستثمارات، قادرًا على أن يحدث قدرًا من تطوير الدرس في كثير من الميادين المعرفية في الثقافة العربية المعاصرة مع مرور الوقت.

المراجع:

الموسوعة المصورة للرموز التقليدية، لجي.سي.كوبر، ترجمة: مصطفى محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، (رقم١٧٢٧) سنة ٢٠١٤م.

***

٣/٢
موسوعة الشعر العربي الحديث والمعاصر
للدكتور يوسف حسن نوفل
مراجعة علمية نقدية

مدخل:

تعد المراجعات العلمية - "بما تنطوي عليه من جهد تحليلي تركيبي - أعمالًا علمية في حد ذاتها"، كما يقرر الدكتور حشمت قاسم في مقالته عن المراجعات العلمية.

وهذا البحث يستهدف صنع مراجعة علمية للعمل المرجعي: موسوعة الشعر العربي الحديث والمعاصر للدكتور يوسف حسن نوفل، معتمدًا الطبعة الأولى التي صدرت عن: مؤسسة المختار، بالقاهرة، سنة ١٤٢٦هـ = سنة ٢٠٠٥م (×١٠٨٥ص).

ويعالج البحث مسألته من خلال المطالب التالية:

١. موسوعة الشعر العربي الحديث والمعاصر: مادتها، وانتماؤها المعرفي، وأهميتها.

٢. موسوعة الشعر العربي الحديث والمعاصر: بناؤها ومنهجها ومصادرها.

٣. موسوعة الشعر العربي الحديث والمعاصر: مقالة في خطاب الوظائف والاستثمار.

وفيما يلي بيان ذلك.

إن هذا المراجعة العلمية تستهدف - بالأصالة - تقدير سهمة الدكتور يوسف حسن نوفل في ميدان دراسة الشعر العربي الحديث والمعاصر، وبيان ما أسهم به من مصادر مساعدة، تعين على فحص كثير جدًّا من قضايا منجز هذا الجنس الأدبي العريق في العصر الحديث والمعاصر.

١/ موسوعة الشعر العربي الحديث والمعاصر: مادتها وانتماؤها المعرفي، وأهميتها:

(١.١) مادة الموسوعة:

احتوت موسوعة الشعر العربي الحديث والمعاصر على قسمين أساسيين، هما:

أ. الدراسة الديوانية، وتضمنت: (النصوص المصاحبة للديوان/ العتبات، والديوان).

ب. البيئات: معجم الشعراء، ودواوينهم والمختارات، والمجموعات، والمطولات.

موزعين على الدول العربية التالية:

الإمارات/ البحرين/ تونس/ الجزائر/ السعودية/ السودان/ سوريا/ العراق/ عمان/ فلسطين والأردن/ قطر/ الكويت/ لبنان/ مصر/ المغرب/ المهاجر/ موريتانيا/ اليمن/ شعراء آخرون.

(٢.١) الانتماء المعرفي للموسوعة:

ربما يبدو فحص أمر الانتماء المعرفي لهذا العمل مثيرًا للدهشة في ظل تعيين نوع انتماء معرفي لها في عنوانها (موسوعة الشعر العربي الحديث والمعاصر).

والحق أن أمر هذا الانتماء المعرفي لهذا العمل في حاجة إلى الفحص، وبيان شبكة الانتماءات المعرفية التي تتنازعه وتدعي احتواءه.

(أ)

إن هذا العمل عمل مرجعي بامتياز، وهو صالح لأن ينتمي إلى الأنواع التالية من الأعمال المرجعية:

أولًا: نوع الموسوعة:

لقد ظهر الانتماء المعرفي في العنوان، ويبدو أنه أطلق على هذا العمل من ملاحظة سعته واستيعابه؛ حيث قرر الدكتور يوسف نوفل في إضاءة عنوانه ما نصُّه (ص/ ٣): "حصر شامل لشعراء العالم العربي كله (٧٠٠٠ شاعر)، ودواوينهم، والمختارات، والمجموعات، والمطولات الشعرية، ودراسة حديثة لدواوينهم، ومسيرة تطورها: العنوان، والمقدمات والجمع والتحقيق، والنشر والطباعة، والتجنيس الأدبي".

كما يمكن أن يكون هذا التعيين التصنيفي بالموسوعة بسبب ملاحظة العناية بعدد من المعلومات الموسوعية في تعريف المداخل/ أو الشعراء العرب، وهي المعلومات التي طالت:

أ. بلد الشاعر.

ب. سنة الميلاد/ والوفاة.

ج. أعماله الشعرية من الدواوين، وغيرها.

ثانيًا: نوع المعجم:

وثمة ما يوحي بانتماء هذا المعجم إلى قطاع الأعمال المعجمية والمرجعية، بدليل تحليل خطاب المقدمة، حيث جاء فيها التصريح بأن هذا العمل هو من قبيل (ص/ ٧): "***الإسهام ... المعجمي***".

ويدعم هذا الانتماء مجموعة المحددات التصنيفية التالية:

أ. الترتيب، حيث رتبت المداخل خارجيًّا على البلدان ترتيبًا ألفبائيًّا، وداخليًّا (أي في داخل كل بلد) على الترتيب الألفبائي المشرقي كذلك.

ب. البنية الكبرى للعمل؛ حيث صُمِّم في صورة المعجم، بمعنى أنه جعل اسم الشاعر مدخلًا، وأمامه مجموعة المعلومات تعليقًا على المدخل.

ثالثًا: عمل ببليوجرافي:

من جانب ثالث يظهر إمكان إلحاق هذا العمل بالأعمال الببليوجرافية (الوراقية)، وهو ما يدعمه تحليل خطاب المقدمة، التي جاء فيها غير مرة التصريح بذلك، يقول الدكتور يوسف نوفل (ص/ ٧) إن عمله هذا من قبيل "الإسهام ***الببليوجرافي***".

وهو انتماء معرفي تدعمه المحددات التالية:

أ. ذكر عناوين الدواوين التي أبدعها كل شاعر ممن ضمهم هذا العمل الببليوجرافي.

ب. ذكر أماكن طبعات هذه الدواوين (المدينة/ أو المؤسسة الثقافية/ أو دار النشر)، أو هي مجتمعة معًا.

ج. ذكر عدد صفحات كل ديوان.

رابعًا: نوع الدليل.

من جانب آخر، فإن هذا العمل يمكن أن ينتمي إلى نوع "الأدلة"؛ بما هي نوع من الأعمال المرجعية.

وهذا الانتماء المعرفي يظهر من الوظيفة التي يعلنها صانعه الدكتور يوسف نوفل، المتمثلة في:

أ. حصر شعراء العرب المحدثين والمعاصرين.

ب. حصر أعمالهم الشعرية من الدواوين والمختارات؛ إلخ.

كما يكشف عن هذا الانتماء المعرفي جزء من منهج بناء هذا المرجع؛ حيث رتبت المداخل ترتيبًا خارجيًّا على الأماكن أو البلدان.

إن هذه الانتماءات المعرفية الأربعة تجيب عن السؤال الدائر عن نوع العمل من الناحية التصنيفية.

(ب)

أما الإجابة عن انتماء هذا العمل المرجعي متعدد الانتماءات التصنيفية من جهة المجالات والحقول المعرفية، فإنه صالح لأن ينتمي إلى الحقول المعرفية التالية:

أولًا: تاريخ الشعر الحديث والمعاصر:

ذلك أنه يجمع الشعراء المعاصرين، ويرصد أعمالهم الشعرية، ويكشف عن معلوماتها الببليوجرافية (الوراقية)؛ مما يمثل - والحالة هذه - مرجعًا أساسيًّا لجمع مادة بحوث تاريخ الشعر العربي الحديث والمعاصر، ولاسيما أنه يعنى ببيان سنوات الميلاد والوفاء للشعراء المذكورين في هذا العمل المرجعي.

ثانيًا: النقد الأدبي:

لقد احتوت هذه الموسوعة على قدر ظاهر من بحوث النقد الأدبي، ولاسيما ما جاء في مقدماتها من مباحث تتعلق بفحص عتبات النصوص وأنواعها؛ مما يجعل هذا العمل المرجعي عملًا في النقد الأدبي.

ثالثًا: نظرية الأدب:

اجتهد هذا العمل المرجعي في بعض مقدماته ببيان الفروق بين الدواوين، والأعمال الشعرية الكاملة، وما إلى ذلك من الأعمال الشعرية، وهو بهذا يمكن أن يسهم في تطوير بعض بحوث نظرية الأدب، فيما يتعلق بفحص جنس الشعر تعيينًا؛ مما يجعل هذا العمل المرجعي واحدًا من أعمال نظرية الأدب.

رابعًا: الببليوجرافيا:

هذا الكتاب - بما هو عمل مرجعي - يهدف إلى: الجمع والرصد، وبيان المعلومات الوِراقية، وأماكن طباعة الأعمال الشعرية، وهو بهذا ينتمي بامتياز إلى حقل الببليوجرافيا.

خامسًا: تحقيق النصوص:

يضم هذا العمل المرجعي إشارات كثيرة جدًّا إلى أعمال شعرية مات أصحابها ورحلوا عن دنيانا، وأماكن نشرها، وطبعاتها الأولى؛ مما يعد دليلًا مهمًّا لمن يروم نشر بعض هذه الدواوين نشرات نقدية موثقة محققة، يلزم معها جمع الطبعات الأولى؛ باعتبارها نوعًا من النسخ الثانوية.

(٣.١) أهمية موسوعة الشعر العربي الحديث والمعاصر:

يمثل هذه العمل أهمية كبيرة في مجاله المعرفي المتعدد الانتماءات، وتظهر محددات هذه الأهمية من خلال ما يلي:

أولًا: يعد هذا العمل امتدادًا لتراث عريق اهتم بالترجمة للشعراء، وتوزيعهم على طبقات زمانية، وجغرافية، وفنية.

ومن ثم فهو عمل يصل ما انقطع من آثار هذا التراث العريق.

ثانيًا: يستمد العمل أهميته كذلك من هذه السمة الاستيعابية التي حرص عليها؛ حيث غطى العمل جغرافية الوطن العربي كاملًا، مع التنبه لشعراء العربية في المهاجر، وهو ما يجعله عملًا مرجعيًّا شديد الأهمية من هذا الجانب الاستيعابي.

ثالثًا: تظهر أهميته من حالة الفراغ التي تحيط بهذا الحقل المهم؛ فقد جاء على حين فقر يضرب المكتبة العربية في هذا الباب.

رابعًا: القيمة العلمية لصانع هذا العمل المرجعي أساس في تقدير الأهمية التي يتمتع بها؛ فقد أخلص صانعه لجنس الشعر العربي، ولاسيما الحديث والمعاصر؛ دارسة، وتحليلًا، وفحصًا، ونقدًا.

(٢) موسوعة الشعر العربي الحديث والمعاصر: بناؤها ومنهجها ومصادرها:

تتناول هذه المقالة من هذا البحث ثلاثة مطالب هي:

١.٢ بناء الموسوعة (البنية الكبرى للموسوعة).

٢.٢ منهج الموسوعة في إيراد معلوماتها (البنية الصغرى).

٣.٢ مصادر الموسوعة ووظائفها.

وفيما يلي فحص لهذه المطالب؛ يستهدف الكشف عما تمتعت به على مستوى البناء والمنهج:

(١.٢) البنية الكبرى للموسوعة:

ضمت هذه الموسوعة في بنتيها الكبرى macro- structure ثلاثة أقسام، هي:

أ. واجهة الموسوعة.

ب. متن الموسوعة.

ج. ملاحق الموسوعة.

(أ) واجهة الموسوعة:

تنهض الواجهة front matter في الأعمال المعجمية والموسوعية بوظيفة جليلة، تمثل المفتاح إلى استعمالها، والإفادة منها.

وقد ضمت واجهة هذا العمل المرجعي المعلومات التالية:

١. الدراسة الديوانية:

أ. النصوص المصاحبة للديوان (العتبات): عتبة الديوان من العنوان، والمقدمات، والتذييلات، والإهداء.

ب. فضاء الكتابة: البياض والسواد، والشكل، والتأريخ، والفهرسة، والتبويب.

٢. الديوان:

أ. فائت الديوان، وجمع الدواوين الحديثة، وتحقيقها، وتعدد النشر والطبعات، ودواوين المختارات والمجموعات.

ب. المطابع ونشر الدواوين.

ج. الديوان وتعدد المهاجر الأدبية وتجددها.

د. ديوان الشعر العربي الحديث: مسيرة وتطور.

هـ. تجنيس ديوان الشعر وبيان درجة الصفاء النوعي والمرونة والمزج والعبور من صرامة النوع إلى مرونة الأنواع.

وقد اهتمت المقدمة بما يلزم ظهوره من معلومات المنهج وإرشادات الاستعمال، فبينت ما يلي:

أولًا: منهج بناء الموسوعة (ص/ ١٠)، وهو المنهج الألفبائي الترتيب.

ثانيًا: بيان انحصاره في جمع الشعر فقط من دون المسرحيات الشعرية.

ثالثًا: بيان المصادر التي جمعت منها مادة الموسوعة إجمالًا.

ومع تقدير المعلومات التي وردت في هذه الواجهة، فإن ثمة ملاحظ تحيط بما ورد فيها نجملها فيما يلي:

أولًا: عدم ذكر منهج ترتيب الموسوعة الخارجي، وأنه جغرافي؛ أي قسم الموسوعة أولًا إلى أقسام بحسب البلدان العربية، مع إفراد قسم خاص لشعراء المهجر، وكان الترتيب الألفبائي خاصًّا بالترتيب الداخلي فقط؛ أي لترتيب أسماء الشعراء في كل فصل خاص بهذا البلد أو ذاك، وهو نوع خضوع لفكرة الإقليمية من جانب، والتقسيمات السياسية والجغرافية من جانب آخر.

ثانيًا: حاجة الموسوعة إلى قائمة بالرموز والاختصارات المستعملة في التعامل مع معلومات المداخل (أسماء الشعراء)، من مثل:

و= اختصارًا لتاريخ الولادة.

ثالثًا: لم يظهر تفسير لوضع معلومة تتعلق بوطن الشاعر أمام كل اسم من أسماء الشعراء، مع أن الشعراء موزعون على الأقاليم والبلدان!

ب (١.٢) متن الموسوعة:

جاء هذا العمل المرجعي في عشرين فصلًا، مرتبة ترتيبًا جغرافيًا ألفبائيًا على أسماء البلدان، وفقًا للترتيب التالي:

١. شعراء الإمارات العربية المتحدة.

٢. شعراء البحرين.

٣. شعراء تونس.

٤. شعراء الجزائر.

٥. شعراء السعودية.

٦. شعراء السودان.

٧. شعراء سوريا.

٨. شعراء العراق.

٩. شعراء عمان.

١٠. شعراء فلسطين والأردن.

١١. شعراء قطر.

١٢. شعراء الكويت.

١٣. شعراء لبنان.

١٤. شعراء ليبيا.

١٥. شعراء مصر.

١٦. شعراء المغرب.

١٧. شعراء المهاجر الشمالية والجنوبية.

١٨. شعراء موريتانيا.

١٩. شعراء اليمن.

٢٠. شعراء آخرون.

ويتضح من هذا البناء الخارجي ترتيب المعجم/ الدليل ترتيبًا ألفبائيًّا جغرافيًّا على أسماء بلدان الشعراء، مع تخصيص الفصل الأخير للشعراء مجهولي البلد، الذين لم يستطع المعجم تعيين أوطانهم.

وهذا المنهج الترتيبي متأثر بتطبيقات إقليمية الأدب من جانب، يستحضر مفهومًا سياسيًّا لطبقات الشعراء.

أما الترتيب الداخلي في كل فصل/ بلد، فقد جاء ألفبائيًّا جذعيًّا خالصًا، بمعنى أنه رتب المداخل في داخل كل فصل/ أو بلد بحسب نطقها، ترتيبًا ألفبائيًّا جذعيًّا، لا يستصحب التجريد أو الرد إلى الجذور.

وهو في الترتيبين الخارجي والداخلي معًا لا يعتد بما يلي:

أ. "ال" التي للتعريف، فعنوان فصل العراق وقع بعد سوريا، ولا يكون ذلك إلا بعد عدم الاعتبار "بال" التي للتعريف.

وكذلك وقع: الحسن بن أحمد بعد حسن إبراهيم (ص/ ١٩٢)، وهكذا دواليك.

ومما يلاحظ على هذا القسم من الموسوعة تضخم الفصل الخاص بشعراء مصر (ص ص٦١٣- ٩٩٠) بما يمثل ٣٩٪ تقريبًا من كثافة المعجم/ الدليل. وهو ملمح قل أن تنجو منه موسوعة، بمعنى أن تأثير جنسية صانع الموسوعة يميل بها نحو هذه السمة التصنيفية من العناية بالمداخل المنتمية إلى بلده، لدرجة ارتفع بها إلى ما يزيد عن الثلث.

وقد فات هذا العمل المرجعي مجموعة من الشعراء لم يذكرهم في فصولهم المظنونة، وهو أمر يبدو طبيعيًّا في سياق النظر إلى الأعمال المرجعية الكبيرة، ومما أخل بذكره هذا العمل من شعراء مصر:

أ. الدكتور بسيم عبد العظيم (و١٩٥٧م) مصر.

ب. الدكتور حمدي والي (مصر).

ج. عبد الرحمن القرضاوي (و ١٩٧٠) مصر. قطر.

كما ورد شعراء في غير أوطانهم من مثل:

محمود مفلح (ص٩٣٨) مصر، وهو من غير شعرائها.

ج (١.٢) ملاحق الموسوعة:

ضمت الموسوعة ملحقًا واحدًا جاء فهرسًا لمصادر الببليوجرافيا، ومصادر دراسة الشعر العربي الحديث، بلغ عددها (٢٤٠) مصدرًا، مرتبة ترتيبًا هجائيًّا ألفبائيًّا على عناوين المصادر. وهو فهرس مهم جدًّا في تحليل موثوقية الموسوعة، ومدى استيعابها.

(٢.٢) منهج الموسوعة في إيراد معلومات كل شاعر (البنية الصغرى) microstructure:

تفاوتت أشكال العناية بمعلومات التعليق في هذا العمل المرجعي من مدخل لآخر، بحسب ما أتيح لصانعه من مصادر جمع المادة.

وتركز أنواع المعلومات، ومنهج إيرادها في هذا المعجم/ الدليل فيما يلي:

أولًا: المدخل، ويتكون من المعلومات التالية:

أ. اسم الشاعر.

ب. بلده ووطنه (مفردًا/ أو متعددًا).

ج. سنة ميلاده/ ووفاته (إن وجدتا).

ثانيًا: معلومات ما تحت المداخل (وهي خالصة لدواوين الشاعر وأعماله الشعرية)، مرتبة ترتيبًا زمنيًّا، بحسب أسبقية تاريخ صدور الأعمال الشعرية، وهذه المعلومات كما يلي:

أ. عنوان الديوان/ العمل الشعري.

ب. المعلومات الببليوجرافية (الوراقية) الخاصة بالنشر، وعدد الصفحات.

ج. وكاتب المقدمة النقدية والتعريفية إن وجد.

ومن النماذج الدالة على ما نقرره:

- ص٦٢٨. أحمد بخيت (ولد ١٩٦٦م) مصر:

لا تسأليني، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٦م وطن بحجم عيوننا، ١٩٨٩م، وداعًا أيتها الصحراء ١٩٩٨م. وليلى ... شهد العزلة ١٩٩٨م. وصبر الكليم ٢٠٠٠م، والأعمال الشعرية الكاملة، دار الأحمدي للنشر.

ففي هذا المثال يتضح ما يلي:

أولًا: بيان المدخل، بذكر اسم الشاعر/ وتاريخ مولده/ ووطنه.

ثانيًا: بيان معلومات ما تحت المدخل المخصصة لمنجز الشاعر الشعرية، وقد تضمنت المعلومات ذكر عنوان الديوان، ومكان نشره وسنة نشره، مرتبة ترتيبًا زمنيًّا من القديم إلى الحديث.

ويلاحظ على التعليقات ما يلي:

أولًا: اطراد ترتيب مكونات التعليقات على المداخل، بحيث اطرد ظهور مفردات المعلومات في كل المداخل، وهو ملمح جيد في تصميم البنية الصغرى في الأعمال المعجمية.

ثانيًا: تفاوت الوفاء بمكونات التعليق من المعلومات جميعًا، بمعنى أنه على حين اكتمل ظهور المعلومات كاملة تحت بعض المداخل/ من أسماء الشعراء، فإن ثمة نقصًا لحق التعليق على عدد كبير من المداخل.

(٢/ ٣) مصادر الموسوعة:

تكلمت الموسوعة عن مصادر جمع مادتها مرتين، هما:

أولًا: في المقدمة (ص/ ١٠): يقول الدكتور يوسف حسن نوفل: "لقد كان المسار والمسعى شاقًّا ... استقصاء وتنقيبًا ... ومقابلة واتصالًا ومراسلة ... وسفرًا إلى بعض البلدان العربية، ومتابعة لمواقع الشبكة الدولية (الإنترنت)، والمواقع الشخصية، والموسوعات الإلكترونية، ورصدًا واقتناء للببليوجرافيات العربية المتنوعة".

ثانيًا: فهرس المصادر في ختام العمل المرجعي ونهايته.

وقد كشف فحص هذا المصادر وتحليلها عن استعمال المجموعات التالية:

أولًا: معاجم الشعراء، وموسوعاتهم، ومعاجم أعلام الأدباء، ومعاجم أعلام المدن وغيرها، من مثل:

أ. أدباء سعوديون، لمصطفى حسين (رقم ٤)، وأعلام الأدب العربي المعاصر لروبرت كامل (رقم ٢١)، ورواد الشعر الحديث في مصر، لمختار الوكيل (رقم ٨٠)، ومعجم شعراء الطفولة في الوطن العربي خلال القرن العشرين، أحمد فضل شبلول (رقم ٢٠٤)، وغير ذلك.

ب. الدراسات الأدبية والنقدية الخاصة بالشعر العربي الحديث، من مثل: الشعر الحديث في السودان، لعبده بدوي (رقم ١٢٧) والشعر العربي المعاصر: تطوره وأعلامه، لأنور الجندي (رقم١٣٠)، وغيرهما.

ج. الببليوجرافيات الخاصة بالإنتاج الشعري، من مثل: كشاف الأدب الإماراتي الحديث، لأحمد محمد عبيد (رقم ١٥٦)، ومصادر دراسة محمود سامي البارودي، لمحمد مصطفى هدارة (رقم١٧٠).

وقد نهضت مجموعات هذه المصادر بعدد من الوظائف، يمكن إجمالها فيما يلي:

أولًا: الوظيفة البنائية التكوينية التأسيسية؛ أي أنها أسهمت في بناء مادة هذا العمل المرجعي، وتكوينه.

ثانيًا: الوظيفة الببليوجرافية؛ حيث أمدت مستعملي هذا العمل المرجعي بكثير من المعلومات الوراقية المتعلقة ببيانات الدواوين، ومظان نشرها، وسنوات النشر.

(٣) موسوعة الشعر العربي الحديث والمعاصر: مقالة في خطاب الوظائف:

إن تحليل هذه الموسوعة، وفحص أقسامها، يكشف عن مجموعة من الوظائف التي يمكن استثمارها في الدرس الأدبي والنقدي والثقافي المعاصر، ومن الممكن تأمل مجموعة منها فيما يلي:

أولًا: الوظيفة المعرفية:

يقصد بهذه الوظيفة ما يمكن أن تسهم به هذه الموسوعة في تعميق مسارات البحث في نطاق الحقل المعرفي الذي تخدمه، وهو حقل تاريخ الأدب العربي الحديث، ودراسته، ونقده.

لقد ضمت هذه الموسوعة عددًا كبيرًا من شعراء العرب المعاصرين؛ بشهادة كثافة المداخل التي تجاوزت حدود سبعين ألف شاعر!

وهو ما يعني إمكان استثمارها في الحقول البحثية التالية:

أ. إعادة ترسيم خرائط الاتجاهات الشعرية في عموم الوطن العربي.

ب. إعادة فحص الأنواع الفرعية المنضوية تحت جنس الشعر؛ بما هو جنس علوي.

ج. تطوير دراسات العنوان؛ بما هو عتبة نصية مهمة ملهمة معًا.

د. إعادة رسم خرائط المدارس الشعرية في الأوطان العربية.

هـ. حسم مسائل النزاع حول الريادة الشعرية في عدد من البلدان العربية؛ تبعًا لتحليل تواريخ نشر المنجز الشعري للمتنازع حول ريادتهم.

ويرتبط بهذه الوظيفة – الوظيفة الثقافية التي تجيب عن منزلة الشعر في التكوين الثقافي.

ثانيًا: الوظيفة التاريخية:

لا شك أن العناية التي أولتها هذه الموسوعة للتواريخ على مستويات تواريخ مواليد الشعراء، وتواريخ صدور دواوينهم وأعمالهم الشعرية، تسهم في ضبط دراسات تاريخ الشعر الحديث والمعاصر في هذه البلدان العربية.

ثالثًا: الوظيفة الحضارية:

لقد تمدد الشعر العربي في مناطق فنية كثيرة، فاشتبك مع تاريخ الغناء، وأسهم في تطويره، واشتبك مع تاريخ الدراما التلفزيونية والسينمائية، وأسهم في تطويرها كذلك.

وهو الأمر الذي يحتاج إلى فحص ودراسة وتحليل يكشف عن السهمة الحضارية للشعر العربي المعاصر في تطوير عدد من الفنون.

رابعًا: الوظيفة السياسية والقومية:

للشعر إسهام قديم في دعم الروح القومية، ولا شك أن الأحداث التي مرت على الأمة العربية شهدت تعاطيًا شعريًّا أسهم في التأريخ لها من جانب، وأسهم في التعاطف الوجداني والعقلي مع قضاياها من جانب آخر، جعل هذه الأحداث والقضايا حاضرة في الوجدان العربي المعاصر.

وهو ما كان له سهمته في تعاطي النفس العربية مع قضايا أمته، ومشكلاتها المختلفة.

خاتمة:

إن العناية بأعمال المراجعات العلمية النقدية تمثل وجهًا بحثيًّا مهمًّا، ما يزال قليل التجليات في المسارات البحثية المعاصرة في الداخل العربي والمصري.

وهذه المراجعة العلمية لهذا العمل المرجعي/ الموسوعي، استهدفت تحية عالم جليل عكف عمره في محراب دراسة فن العربية الأول، وعلم الشرق بلا منازع، وهو الشعر.

وقد نتج من هذه المراجعة العلمية ما يلي:

أولًا: يمثل هذا العمل المرجعي امتدادًا لتاريخ عريق في التراث العربي الخادم لتراجم الشعراء، وبيان طبقاتهم.

ثانيًا: تمتع هذا العمل المرجعي بتطبيق عدد كبير من أسس صناعة الأعمال المعجمية، فاحتوى على واجهة ومتن.

ثالثًا: حافظ المعجم/ الدليل على اطراد ظهور المعلومات في مواضعها؛ من التعليق على المداخل، أو أسماء الشعراء.

رابعًا: كشفت المراجعة العلمية لهذا العمل المرجعي عن عدد كبير من الوظائف الممكن استلهامها واستثمارها في سياق تطوير الدراسات الأدبية والنقدية وتاريخهما.

...

إنني أكتب هذه المراجعة العلمية لإحياء القيمة العلمية، والصبر والدأب في خدمة علم العرب الأصيل، المتمثل في شعرها في مرحلة من مراحل تاريخه المهم، الذي تحلى به صاحب هذا العمل الدكتور يوسف حسن نوفل، فله موفور التحية.

المراجع:

١. المراجعات العلمية ودورها في تحول المعلومات إلى معرفة، للدكتور حشمت قاسم، ضمن دراسات عربية في المكتبات والمعلومات العدد (٢) مايو، سنة ١٩٩٨م، مج٣ (١/ ١١).

٢. موسوعة الشعر العربي الحديث والمعاصر، للدكتور يوسف حسن نوفل، مؤسسة المختار للنشر، القاهرة، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.

٤/٢

قمر على الحمراء!
العناية المعاصرة بتراجم اللغويين والنحويين الأندلسيين
دراسة في البحث المعجمي

مدخل: بكاء الفردوس: العاطفة الخلاقة:

يقع الأندلس وما يدور في فلكه من منجز وحضارة وتراث وأدب في نفوس العرب، والمسلمين على امتداد العصور التاريخية موقعًا أثيرًا يستفز عواطفهم، ويسيل مدامعهم، يبكون زمانًا من العزة الآفلة، وتاريخًا من المجد الغابر، وحضارة بقيت شواهدها إلى اليوم، وإن غابت رسوم الذين شيدوها وعمروها.

ولأسباب نفسية جمعية، ولأسباب معرفية، وبتأصيل من حقل المنظور الإقليمي في دراسة الآداب والحضارات - استقل فحص منجز الأندلسيين بالدرس العلمي، وأصبح العكوف على الأندلسيات ميدانًا معرفيًّا ممتدًّا وخصبًا بكل ما يعنيه هذا الوصف.

وقد تنبه الدارسون إلى خصوصية فحص سهمة الأندلسيين في الدرس اللساني منذ زمان بعيد، وقامت تأسيسات في غير حقل معرفي فرعي تثبت ذلك، وتبرهن عليه، وهو ما يتجلى فيما يلي:

أولًا: المدرسة اللغوية الأندلسية:

مثل وجود الأندلس في العالم الإسلامي إضافة حقيقية بما أسهم به من منجز معرفي إلى ميدان الدرس اللغوي بوجه عام، وهو ما توقف أمامه الدرس المعاصر بالفحص والعناية، وهو ما يظهر في أمثال الدراسات التالية:

أ. الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، لألبيد حبيب [المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٦٧م].

ب. الدراسات اللغوية في الأندلس، لرضا عبد الجليل الطيار [منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد، سلسلة دراسات ٢٢٧، سنة ١٩٨٠م].

ج. المعجم العربي في الأندلس، للدكتور عبد العلي الودغيري [دار المعارف، المملكة المغربية، الرباط، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م].

وهناك دراسات أكثر محدودية في نطاقها الموضوعي، تتناول لغويًّا أندلسيًّا بعينه، أو تأثير لغوي في الدرس اللغوي بالأندلس، وما إلى ذلك من اتجاهات البحث في الدراسات اللسانية المختصة بالأندلس.

وهذا الميدان ما زال بكرًا ينتظر إنجازات أساسية، تراجع إسهام الأندلسيين في الدراسات الصوتية والتجويدية والأدائية التي نشطت في رحاب هذه الجغرافيا المتميزة.

إن هذه التوجهات التي تدرس سهمة الأندلس في مجالات البحث اللساني بفروعه المختلفة، تصدر عن عاطفة خلاقة لا تكتفي بالبكاء السلبي لهذه الأرض العزيزة، ولكنها تحاول أن تعبر عن هذه العاطفة بصورة إيجابية عملية.

ثانيًا: المدرسة الأندلسية النحوية:

إن منظومة الآراء والأفكار والأصول النحوية التي ظهرت في الحياة العلمية الخاصة بدراسة النحو في جغرافية الأندلس، أثمرت بتعانق هذه الحدود المعرفية (الأصول والآراء)، والزمانية بعد استقرار المسلمين في الأندلس وتحولها إلى اللسان العربي، والمكانية في هذه البقعة العجيبة – مدرسة نحوية يؤرخ لها ولأعلامها المعاصرين في ميدان تاريخ المدارس النحوية.

لقد تقرر أن النحو في الأندلس نشأ وتطور من بوابة العناية بخدمة الإقراء، ثم من عناية خاصة بالنحو الكوفي، ثم البصري، ثم تمدد في العناية بالبغدادي، وظهرت أسماء لامعة في تاريخ هذه المدرسة، كابن مضاء، وابن عصفور، وابن مالك، وأبي حيان وغيرهم.

ولعل فيما كتبه الدكتور شوقي ضيف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: المدارس النحوية (ص ص ٢٨٨- ٣٢٦) [دار المعارف، القاهرة، ط١٠ سنة ٢٠٠٨]، وما كتبته الدكتورة خديجة

الحديثي في كتابها المدارس النحوية (ص ص ٣٠٦- ٣٣٥) [دار الأمل، إربد، الأردن، ط٣ سنة ٢٠٠١م] شاهدًا على ما تقرر لهذا الجزء في حقل التأريخ النحوي.

١/ العناية المعاصرة بتراجم اللغويين والنحويين الأندلسيين: حدودها ودوافعها:

١/ ١: حدود العناية:

إن العناية المستقلة بتراجم اللغويين والنحاة والأندلسيين قديمة عريقة في هذا الفرع من الدرس اللغوي، وهو الفرع المعني بتاريخ علماء اللسانيات العرب في الأندلس، وهو ما يظهر من صنيع أبي بكر محمد الحسن الزبيدي الأندلسي (ت ٣٧٩هـ) في كتابه: طبقات النحويين واللغويين [تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م]، عندما أفرد جزءًا خاصًّا بتراجم النحويين واللغويين والأندلسيين [ص ص ٢٥١- ٣٢٩]، جاء آخر أجزاء كتابه، وقد وزع من ترجم لهم على ست طبقات.

وقد تعانقت حزمة من المبادئ الحاكمة في تصنيفهم هذه المستقل، هي:

أولًا: منظومة ما لاحظه من الآراء والأفكار والأصول اللغوية والنحوية التي ميزت هؤلاء النفر من علماء اللغة والنحو.

ثانيًا: المبدأ الزماني، أو الحد الزماني بعد دخول الإسلام والعربية إلى الأندلس، وتقسيمه العلماء إلى طبقات كذلك.

ثالثًا: المبدأ المكاني، أو الحد المكاني المتمثل في جغرافية الأندلس.

وتمثل محاولة الزبيدي المتقدمة زمنيًّا إحساسًا مبكرًا جدًّا بخصوصية المدرسة الأندلسية في ميدان الدراسات اللغوية والنحوية.

وأعتقد أن هذه المحاولة كانت رافدًا مهمًّا للمعاصرين في تأسيس العناية بتراجم الأندلسيين من علماء اللغة والنحو.

وسيتوقف هذا البحث أمام عملين معاصرين، هما:

١. معجم الحضارة الأندلسية، للدكتور يوسف عيد، والدكتور يوسف فرحات، الأستاذين بالجامعة اللبنانية [دار الفكر العربي، بيروت، ط١، سنة ٢٠٠٠].

حيث أفرد جزءًا مستقلًّا خاصًّا بمعجم اللغويين في الأندلس [ص ص ٢٧٣- ٤١٧].

٢. معجم علماء اللغة والنحو من الفتح إلى سقوط الخلافة (٩٢هـ- ٨٩٨هـ) [للدكتور رجب عبد الجواد إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ [دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م].

١/ ٢ دوافع العناية:

إن فحص هذين العملين المعجميين - اللذين تفرغا لترجمة علماء اللغة والنحو الأندلسيين - يكشف عن جملة من الدوافع التي حملت صانعيهما على إنجازهما، يمكن تلخيصها فيما يلي:

أولًا: الدافع المعرفي:

يمثل الدافع العلمي والمعرفي أظهر الدوافع وراء إنجاز هذه الأعمال المعجمية الخاصة بتراجم اللغويين والنحويين في التاريخ العلمي للأندلس؛ ذلك أن الإيمان بقدر من التمايز العلمي على مستويات:

أ. الآراء والأفكار والأصول النحوية واللغوية،

ب. والتطور الملحوظ في تتابع طبقات هؤلاء العلماء زمنيًّا،

ج. والميزة النسبية لجغرافية الأندلس في علاقتها بالأفكار المنحدرة من ثقافة أوربية قديمة = كان دافعًا وراء تخصيص هؤلاء العلماء بأعمال مرجعية مستقلة، تكون تمهيدًا لفحص هذا التمايز من جوانبه الثلاثة المذكورة. من جانب آخر، فإن الرأي العلمي المستقر في مجال علم اللغة يرى أن العناية بتأريخ العلم، ونشاط رجالاته جزء أصيل من الحدود المعرفية لخريطة قضايا علم اللغة في العصر الحديث، وهو ما تجلى في هذه العناية بتراجم العلماء اللغويين والنحويين الأندلسيين؛ لتكون جزءًا أصيلًا من دراسات المدرسة اللغوية والنحوية الأندلسية، ومدى إسهامها في تطوير الأصول والأفكار والآراء اللسانية في تاريخ التقاليد اللسانية العربية التراثية.

ثانيًا: الدافع الحضاري:

كان إدراج قسم التراجم للنحويين واللغويين في سياق معجم للحضارة الأندلسية من جانب العمل المرجعي الذي صنعه الدكتور يوسف عيد والدكتور يوسف فرحات - أمرًا

مثيرًا للانتباه حقًّا؛ ذلك أن الحضارة - بما هي منجز ظاهر - تمثل في التجلي المادي والعملي لجهاد العلماء الذين نهضوا بهذه الحضارة، وشادوا مجدها.

واللسان شرط تأسيسي لمنجزات الحضارة، وشرط تأسيسي للاجتماع الإنساني بالأساس، بها يمارس الإنسان نشاطه جميعًا.

يقول معجم الحضارة الأندلسية [ص التعريف بالكتاب]: "يهدف هذا العمل المعجمي إلى التعريف بأهم معالم الحضارة العربية في الأندلس، وبالشخصيات التي أدت دورًا بارزًا في الحياة".

وإذا كان الكتاب العزيز هو مركز حضارة العرب بامتياز، وهو كتاب لغوي، فإن كل اشتغال بلغته هو بالأساس اشتغال بقيام الحضارة العربية في الأندلس وتأسيسها.

ويرتبط بهذا الدافع الحضاري ويدور في فلكه إرادة المجتمع المعرفي الأندلسي، الذي يبدو متراجعًا في مواجهة المجتمع المشرقي الذي سبق في مضمار الاشتغال بلسانيات الكتاب العزيز.

وقد أثمر الاشتغال بالأندلس قطاعات مائزة من العمل المرجعي واللغوي، مقارنة بثمرة الاشتغال المشرقي اللساني؛ ولعل قطاع معجمات الأفعال وما أنجزه ابن القوطية (ت ٣٦٧هـ) والسرقسطي (٤٠٠هـ) وابن القطاع (ت٥١٥هـ) واللبلي الفهري (ت ٦٩١هـ) - وهو نوع من التميز الحضاري - مرجعه إلى الوعي بقدرة الأندلسيين على الإضافة، وشق مسارات جديدة مبتكرة في مجال خدمة الدرس اللغوي.

ومن ثم جاءت العناية بتراجم النحويين واللغويين المعاصرين؛ للكشف عن هذه البعد الحضاري الأندلسي.

ثالثًا: الدافع الديني:

يمثل الدافع الديني مقصدًا أعلى حاكمًا في مسيرة الإنجاز العلمي في الحضارة العربية في شتى جغرافيتها؛ إيمانًا بأن الوحي هو صانع هذه الحضارة، ومفجر منشآتها المادية والمعرفية معًا.

وصناعة المعجمات المعاصرة الجامعة لتراجم علماء الأندلس عمومًا وتراجم علماء اللغة والنحو بوجه خاص، هدفها الكشف عن تجلي هذا الدافع الحاكم في حياة العقل العربي المسلم في هذه البقاع.

وتأمل مقدمات المعجمات المعاصرة لتراجم اللغويين والنحويين في الأندلس تكشف عن هذا الدافع وراء تصنيفها، وتكشف عن إرادة هذه الجماعة العلمية المتوجهة إلى خدمة الدين من بوابة اللغة والنحو.

ويرتبط بهذا الدافع – كذلك – إرادة منح العظة والاعتبار مما لحق بهذه الديار، وهو دافع مرتبط بفلسفة التاريخ من المنظور القرآني، كما يظهر من افتتاح الدكتور رجب عبد الجواد معجمه بالدرس المستفاد من ضياع الأندلس (ص ٥).

رابعًا: الدافع النفسي:

جاء إنجاز إعمال مرجعية معاصرة كاشفة عن سهمة الأندلسيين من النحاة واللغويين – نوعًا من العمل الإيجابي المعبر عن شعور عربي وإسلامي معاصر يأسى لما حل بالأندلس، ويتذكر مآثر هذا الجزء العزيز من جغرافية الإسلام، وربما كان إنجاز هذه الأعمال المرجعية تعويضًا واعتذارًا عما لحق بهذه الديار، وحولها إلى فردوس مفقود، وهذا الدافع النفسي ظاهر مثلًا في العتبة النصية المتمثلة في إهداء الدكتور رجب عبد الجواد إبراهيم الذي يقول فيه [ص/ ٣]: "إلى علماء الفردوس المفقود: لقد كنتم في جنة في الحضارة العربية الإسلامية أزهارًا يانعة فواحة، أفسدها الأقزام بصراعاتهم وشهواتهم؛ بهم ضاعت الأندلس، وبكم بقيت في عقولنا وقلوبنا"!.

٢/ العناية المعاصرة بتراجم اللغويين والنحويين في الأندلس:

خطاب التصنيف والنقد المعجميين:

تتناول هذه الدراسة عملين مرجعيين اشتغلا على جمع تراجم اللغويين والنحويين الأندلسيين؛ هما:

٢/ ١ معجم الحضارة الأندلسية، للدكتور يوسف عيد والدكتور يوسف فرحات، في القسم المختص بتراجم اللغويين والنحويين في الأندلس.

٢/ ٢ معجم علماء اللغة والنحو في الأندلس من الفتح إلى سقوط الخلافة، للدكتور رجب عبد الجواد إبراهيم.

وستعالج الدراسة هذين العملين من خلال فحص المطالب الأربعة التالية في كل عمل منهما:

١. الانتماء المعرفي للعمل.
٢. البنية الكبرى للعمل: (الواجهة/ والمتن/ والملاحق).
٣. البنية الصغرى للعمل (التعليق على الشكل/ والتعليق على المعنى).
٤. المصادر والتوثيق.

١/٢

معجم الحضارة الأندلسية (معجم اللغويين في الأندلس)

للدكتور يوسف عيد والدكتور يوسف فرحات

(سنة ٢٠٠٠م)

٢/ ١/ ١ الانتماء المعرفي للعمل:

ينتمي هذا العمل المرجعي إلى معاجم الأعلام النوعية؛ فهو معجم لتراجم اللغويين في الأندلس. وهذا الانتماء مرجعه إلى ظهور المحددات التالية:

أ. عنوان العمل؛ فقد جاء عنوان العمل المرجعي العام (**معجم** الحضارة الأندلسية)، وجاء عنوان الجزء المختص بتراجم اللغويين بالأندلس (**معجم** اللغويين في الأندلس) (ص ٢٧٣).

ب. خطاب مقدمة المعجم في الجزء الخاص بتراجم اللغويين، يقول مصنفا العمل (ص ٢٧٦): "وقد توخينا في ***هذا المعجم*** إحصاء اللغويين".

ج. خطاب الكلمة التعريفية على غلاف العمل؛ حيث جاء بها: "يهدف هذا العمل ***المعجمي*** إلى التعريف ... بالشخصيات التي أدت دورًا في الحياة (و) الوجود الإسلامي في إسبانيا من الفتح إلى السقوط".

ومن ثم فإن هذا العمل بقرائن خطاب المحددات الثلاثة: معجم/ التراجم/ اللغويين في الأندلس من الفتح إلى سقوط الخلافة.

يضاف إلى هذه المحددات كذلك:

أ. محدد نظام ترتيب التراجم؛ فهو قد اتبع نظام الترتيب الشائع في بناء الأعمال المعجمية، وهو الترتيب الألفبائي، مراعيًا الألقاب التي اشتهر بها أصحابها، ثم أسماءهم.

ب. محدد المصادر المعتمدة في بناء المعجم، وجميعها مصادر لنوع عريق من معاجم الرجال والعلماء.

٢/ ٢.١ البنية الكبرى للعمل:

تتوزع بنية معجم اللغويين الأندلسيين (وهو الجزء الثالث من: معجم الحضارة الأندلسية، ص ص ٢٧٣- ٤١٩) على ثلاثة مكونات هي:

أولًا: واجهة المعجم.

ثانيًا: متن المعجم.

ثالثًا: ملاحق المعجم.

أولًا: واجهة المعجم:

لعل أهم ما يميز واجهة العمل المعجمي ماثل في أمرين، هما:

أ. عنوان العمل الذي يمنحه انتماءه المعرفي، وهو معجم اللغويين الأندلسيين.

ب. مقدمة العمل، التي اشتملت على مجموعة من المعلومات اللازمة، تمثلت فيما يلي:

١. بيان تمهيدي عن ارتباط النشاط العلمي في ميدان اللغة بغايات صيانة اللسان، وخدمة القرآن الكريم (ص ٢٧٣).

٢. بيان موجز جدًّا لمراحل ظهور الدراسات اللغوية في الأندلس، موزعة على القرون الهجرية (ص ص ٢٧٣- ٢٧٥).

٣. بيان الغرض من هذا المعجم، يقول (ص ٢٧٦): "وقد توخينا في ***هذا المعجم*** إحصاء اللغويين كلهم".

وقد فات هذه المقدمة مجموعة من المعلومات اللازم ظهورها في مقدمات الأعمال المعجمية؛ بما هي أعمال مرجعية، نجملها فيما يلي:

١. غياب بيان منهج ترتيب مداخل المعجم/ أو تراجم اللغويين المجموعين فيه.

٢. غياب إرشادات الاستعمال.

٣. غياب بيان طبيعة المستعملين الذين يستهدفهم هذا المعجم.

٤. غياب بيان خصائصه ومميزاته.

٥. غياب بيان طريقة جمع مادة المعجم.

٦. غياب بيان منهج ترتيب معلومات ما تحت المداخل، ومستوى توزع هذه المعلومات وطريقة التوثيق من المصادر.

ثانيًا: متن المعجم:

متن المعجم هو جسمه، وهو الجزء الذي يضم المداخل أو التراجم، وما تحتها من معلومات وتعليقات.

وقد رتب مصنفاه مادة هذا المعجم وفق الترتيب الألفبائي، أو وفق التسلسل الألفبائي على حد تعبيرهما (ص ٢٧٧)، وقد راعوا المعايير التالية في ترتيب المداخل:

أ. البدء باللقب الذي اشتهر به اللغوي الأندلسي، أو الكنية.

ب. التثنية باسمه بعد اللقب أو الكنية إن كان البدء بهما.

ج. وضع تاريخ الميلاد والوفاة أو الوفاة فقط عند تعذر وجود تاريخ للميلاد، متبعًا التقويم الهجري بين قوسين هلاليين.

وهو ما يعني اتباع تطبيقات الترتيب الألفبائي خارجيًّا؛ أي تقسيم المعجم وتوزيع مداخله على حروف الهجاء وفق الترتيب المشرقي (أ، ب، ت، ث ... ي).

وقد جاء في خمسة وعشرين فصلًا؛ إذ خلت حروف: الظاء والكاف والواو من وجود تراجم للغويين أندلسيين بها.

وقد أورد الدكتور رجب عبد الجواد تراجم للغويين أندلسيين في بابي حرفي: الكاف (ص ٣٥١)، والواو (ص ٥٠٣)؛ مما يكشف عن عدم تحقق الغاية الاستقصائية التي وعد بها هذا المعجم الذي نعالجه في هذا المطلب.

كما رتب مصنفا هذا المعجم مداخله ترتيبًا داخليًّا؛ أي في كل حرف، وفق النظام الألفبائي كذلك، معتبرًا الكلمات التالية داخل الترتيب:

أ. ابن.

ب. أبو.

وغير معتبر لكلمة (ال) التي للتعريف، ومن الظاهر أن الترتيب جاء بعد ذلك غير خاضع لمعايير بعينها؛ فالترجمتان الخاصتان بالأبذي، روعي فيهما الترتيب الألفبائي لما بعد اللقب:

- الأبذي، إبراهيم بن محمد.
- الأبذي، علي بن محمد.

أما التراجم المبدوءة بالاسم العلم (إبراهيم) فقد تتابعت كما يلي:

- إبراهيم بن أحمد بن عمر الغساني (ت٦١٨هـ).
- إبراهيم بن أحمد بن يعقوب (ت٧١٠هـ).
- إبراهيم بن أحمد بن القرطبي! (٣٧٩هـ).

وليس يظهر سبب تأخير (القرطبي) عن (ابن يعقوب)! وهو ما يعني أن الترتيب الداخلي في كل حرف جاء عشوائيًّا!

ويتأكد ذلك من ملاحظة ترتيب المداخل التالية:

- إبراهيم بن محمد بن علي (ت ٧٢٦هـ).
- إبراهيم بن محمد بن غالب (ت ٥٣٥هـ).
- إبراهيم بن ليث بن إدريس (ت ٤٥٤هـ)!

فكما نرى تأخر (ابن ليث) عن (ابن محمد).

ثالثًا: ملاحق المعجم:

صنع مصنفا هذا المعجم ملحقًا واحدًا هو قائمة (المصادر المعتمدة في معجم اللغويين الأندلسيين)، وقد سبق منهما الإشارة إلى توثيق مادة المعجم في المقدمة، عندما قالا

(ص٢٧٦): "وقد توخينا في هذا المعجم إحصاء اللغويين ... مع الإشارة إلى المصادر التي دونت حياتهم، وفصلت أخبارهم وخصائصهم، وتحدثت عن مؤلفاتهم".

وقد ضمت هذه القائمة تسعة عشر مصدرًا فقط.

وقد توزعت هذه المصادر على ثلاث مجموعات فرعية كما يلي:

١. مجموعة المصادر الأندلسية التي اعتنت بتراجم علماء الأندلس وأدبائه ولغوييه ونحاته، من مثل:

- الإحاطة في أخبار غرناطة، للسان الدين بن الخطيب.
- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، للضبي.
- تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، لابن الفرضي.
- التكملة لكتاب الصلة، لابن الأبار.
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، للحميدي.
- الحلة السيراء، لابن الأبار.
- الصلة، لابن بشكوال.
- المغرب في حلى المغرب، لابن سعيد.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري التلمساني.

٢. مجموعة مصادر تراجم اللغويين والنحويين خاصة، من مثل:

- إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي.
- معجم الأدباء، لياقوت الحموي (ومصطلح الأدباء في التراث يتسع ليضم اللغويين بطبيعة الحال).

٣. مجموعة مصادر تاريخية وجغرافية عامة تعنى بتراجم الأعلام، من مثل:

- معجم البلدان، لياقوت الحموي.
- الوافي بالوفيات، للصفدي.
- وفيات الأعيان، لابن خلكان.

وفحص هذه المصادر كاشف عن نقص أحاط بها في المجموعات الثلاث، ظهرت نتائجه في غياب جملة كبيرة من اللغويين النحويين في الأندلس؛ فقد بلغت كثافة المداخل أو الأعلام الذين ترجم لهم سبعمئة ترجمة (٧٠٠)، في حين بلغت كثافة مداخل المعجم الذي صنعه الدكتور رجب عبد الجواد إبراهيم للغويين والنحويين في الأندلس في النطاق الزمني نفسه (٨٩٨) ثمان وتسعين وثمانمئة ترجمة! بفارق يبلغ نحوًا من مئتي ترجمة!

ومن مجموعات المصادر التي غابت عن قوائم مصادر هذا المعجم ما يلي:

أ. مجموعة مصادر البرامج والمشيخات الأندلسية، من مثل:

- برنامج ابن أبي الربيع (ت ٦٨٠هـ).
- برنامج التجيبي (ت ٧٣٠هـ).
- برنامج شيوخ الرعيني (ت ٦٦٦هـ).
- برنامج الوادي آشي (ت ٧٤٩هـ).

ب. مجموعة كتب الفهارس والأثبات لأعلام الأندلسيين، من مثل:

- فهرسة ما رواه ابن خير عن شيوخه (ت ٥٧٥هـ).
- فهرس ابن عطية الأندلسي (٥٤٢هـ).
- فهرست العبلي (٦٩١هـ).
- ثبت البلوي الوادي آشي (ت ٩٣٨هـ).

فضلًا عن النقص الواقع في مجموعات المصادر المعتمدة في هذا العمل، ومما فاته من كتب مجموعة مصادر وتراجم اللغويين والنحاة: طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر الزبيدي الأندلسي (ت ٣٧٩هـ)، الذي اختص النحاة واللغويين الأندلسيين بقسم خاص من كتابه هذا.

٣/٢
البنية الصغرى
لمعجم اللغويين في الأندلس

يقصد بالنية الصغرى للمعجم مجموعة المعلومات التي تنهض بالتعليق على كل مدخل، تنهض بالوفاء بترجمة العلم اللغوي.

وهي نوعان من المعلومات:

أولًا: معلومات التعليق على شكل المدخل من جهة بيان ضبطه أو هجائه أو نوع صيغته التصريفية.

ثانيًا: معلومات التعليق على المضمون أو المعنى من جهة التعريف به، وذكر منجزه التصنيفي، والسياق المعرفي الذي أسهم في خدمته على وجه التعيين من جملة الميادين اللغوية الفرعية.

أولًا: معلومات التعليق على الشكل:

توجهت عناية معجم اللغويين في الأندلس – في إطار خدمة معلومات التعليق على شكل المدخل/ أو أسماء أعلام المترجمين – إلى الملامح التالية:

أ. بيان بعض أشكال الضبط بالقلم (التشكيل) الجزئي، لما رأى المعجم أنه يلزم ضبطه أو تشكيله؛ على ما يظهر من ضبط: (الأبذي) بضم الهمزة وتشديد الباء وفتحها (ص/ ٢٧٧)، وضبط (ابن سيده) بكسر السين المهملة وفتح الدال المهملة (ص ٢٩٠).

ب. ذكر الاسم، واللقب، والنص على الكنية.

ج. وفي أحيان يفسر اللقب، ويبين نوعه من جهة كونه اسمًا منسوبًا، وما إلى ذلك.

ومن أمثلة ذلك:

- الأُبَّذي:

هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم النفري الغرناطي، كنيته: أبو إسحاق ويعرف بالأبذي [هـ٢]، نسبة إلى أبذة، أو أبدة، مدينة قريبة من نهر الوادي الكبير].

ومن هذا المثال يتضح عناية هذا المعجم بمعلومات التعليق على الشكل التالية:

أ. ضبط اللقب بالتشكيل (ضبط القلم).

ب. البدء بالاسم، ثم اللقب.

ج. النص على الكنية.

د. تفسير اللقب، وأنه اسم نتج من النسبة إلى البلدة المعروفة، وفحص منهج المعجم في معالجة معلومات التعليق على الشكل كاشف عما يلي:

أولًا: الاضطراب في مظان معالجة معلومات التعليق على الشكل، فلم تظهر في كل مرة، وعندما ظهرت تفاوتت أماكن ظهورها؛ مرة في المدخل، ومرة في مفتتح التعليق، ومرة بعد المفتتح [انظر: ص٢٨٠ ترجمة ابن الركب (رقم ١٦) ص ٣٢١ ترجمة الجزني رقم (١٦٨)، ص ٣٢٠، ترجمة ثابت بن حزم رقم (١٦٠) [ترقيم التراجم من عندي].

ثانيًا: التفاوت في بيان الضبط، فلم يظهر الضبط في أقسام مطردة من المداخل (انظر: ص ٣٤٥ ترجمة عبد الله بن أبي عامر، لم يضبط فيه؛ أي اسم رقم ٢٧٨، ص ٣٥٥ ترجمة عبد الله بن غازي بن قيس القرطبي، حيث ضبط القاف والياء المثناة التحتية من قيس، بالفتح ثم السكون، مع عدم الحاجة، رقم ٣٠٢).

ثالثًا: التفاوت في تفسير ألقاب المترجمين؛ إذ لم يطرد ظهور تفسير ألقاب المترجمين، ولم تظهر معايير ما فسره من ألقاب.

ثانيًا: معلومات التعليق على المعنى / المحتوى:

توجهت عناية معجم اللغويين في الأندلس إلى خدمة معلومات التعليق على المعنى، أو ما ينهض بتعريف المترجمين من خلال المحددات التالية:

أ. بيان مجالات اختصاصه في الحقل المعرفي اللغوي، من خلال الرأي العلمي في منزلته العلمية في هذا الميدان.

ب. بيان مصنفاته في فروع هذا الميدان المعرفي.

ج. بيان بعض ما حصله في طريق التكوين العلمي في الميدان؛ ما درسه أو قرأه أو سمعه من المصنفات المعتبرة في هذا الميدان.

د. بيان بعض الواقعات أو الحكايات أو الحادثات الدالة على مكانته ومنزلته في هذا الميدان المعرفي.

هـ. ذكر بعض المشيخات التي أثرت في تكوين المترجم له.

و. ذكر سنوات الميلاد والوفاة للمترجم، إن توافرت.

ومن الأمثلة الكاشفة عن حدود منهج العناية بمعلومات التعليق على المعنى أو التعريف: (ص/ ٢٩٠):

"ابن سيده، علي بن إسماعيل (٣٩٨ - ٤٦٠هـ): ***هو لغوي*** ابن لغوي، كان نادرة وقته ... درس ابن سيده على أبيه، وأخذ عن أبي عمر الطلمنكي، وصاعد بن الحسن البغدادي. ترك ابن سيده جملة مؤلفات، منها: كتاب المخصص، وكتاب المحكم في اللغة".

ويتضح من هذه الترجمة المحددات التعريفية التالية:

أولًا: بيان الانتماء المعرفي لحقل اختصاص المترجم (وهو لغوي).

ثانيًا: بيان طرق تحمله العلم من خلال ذكر شيوخه وأساتذته.

ثالثًا: ذكر مصنفاته، وهي جميعًا في اللغة، ولاسيما: المعجمات، والنقد اللغوي وشروح الشعر القديم.

رابعًا: ذكر العصر الذي عاش فيه.

وفحص معلومات التعليق على التعريف والمعنى في تراجم هذا المعجم تكشف عما يلي:

أولًا: التفاوت في بيان معلومات التعليق على المعنى من مدخل لآخر.

ثانيًا: الاضطراب في ترتيب معلومات هذا الجانب من جانبي البنية الصغرى.

ثالثًا: الاضطراب في ذكر من له مصنفات ومن ليس له.

(انظر: ص ٢٨٤ ترجمة ابن باجة رقم ٢٦ لم يشر إلى مصنفاته من الأصل، وص ٢٨٥ ترجمة ابن القياني المرسي، ورقم ٢٩ لم يشر إلى مصنفاته من الأصل، وكذلك ترجمة ابن ثعلبة الأشعري رقم ٣٠، وترجمة ابن الجزار النحوي رقم ٣١).

٤/٢

مصادر معجم اللغويين في الأندلس ومنهجه في التوثيق

أشار معجم اللغويين في الأندلس إشارة عامة سريعة في مقدمته إلى أنه سيشير في كل ترجمة إلى مصادر مادة معلوماته (ص٢٧٦).

وألحق بمعجمه قائمة بمصادر المعجم المعتمدة، ضمت ثلاث مجموعات من أنواع المصادر المعنية بتراجم اللغويين الأندلسيين.

وجاءت منهجية توثيق المعلومات المستقاة من هذه المصادر وفق ما يلي:

أ. وضع رقم عند نهاية الاسم العلم/ المدخل، واستعماله في ذكر مصادر المعلومات المتعلقة بالمترجم في الهامش بالرقم نفسه.

ب. ذكر بيان المرجع؛ عنوانًا ومؤلفًا، مع ذكر المؤشر المكاني لموضع النقل منه، ببيان الجزء والصفحة أو الصفحة فقط.

ج. ذكر رقم لما يحتاج إلى تفسير من معلومات المتن أو التعليق، وتفسيره في الهوامش مقرونًا بالمرجع، ومن أمثلة ذلك ما جاء في توثيق معلومات المدخل (أبو إسحاق البطليوسي ص ٣٠٠ رقم ٧٩)، وضع المعجم رقم (٥) على آخر الاسم العلم، ثم وضعه في هامش الصفحة محيلًا على: بغية الوعاة للسيوطي ج١، ص٤٨٧.

ويلاحظ على منهجية التوثيق في هذا المعجم ما يلي:

أولًا: الاضطراب في طريقة توثيق الاستشهادات المرجعية أو النقول، ففي أحيان يذكر المعجم:

- عنوان المصدر، ومؤلفه مع المؤشر المكاني؛ أي بيان أرقام الأجزاء والصفحات، كما في (ص٣١٧هـ) ٤ وفيات الأعيان، لابن خلكان في ترجمة صاعد الأندلسي، ج١، ص٢٢٩.

وفي أحيان أخرى يذكر:

- عنوان المصدر، من غير ذكر المؤلف، كما في ص (٣١٧/ هـ١: إنباه الرواة على أنباه النحاة ج ٢، ص ١٢١).

وفي أحيان يذكر:

- عنوان المرجع مختصرًا، من غير ذكر المؤلف، كما في ص (٣١٦/ هـ ٢: إنباه الرواة ج١، ص ١٣٧/ أو ص ٣١٢ / هـ١: البغية ج١ / ٣١٧)!

وفي أحيان أخرى يذكر المعلومات من غير توثيق أصلًا؛ كما في التعريف بمدينة (دانية) في ص (٢٩/ هـ٢): "دانية مدينة بالأندلس على ساحل البحر الرومي، كانت قاعدة ملك أبي الحسن مجاهد العامري"، من غير توثيق من مصدر ما، وهو ما تراه في التعريف بمدينة (مرسية) (ص ٢٩٠/ هـ٢)!

- **ثانيًا:** التفاوت في بيان طبقات مصنفات المترجمين في اللغة وفروعها؛ فهو أحيانًا يذكر طبقات بعض التصنيف كما في (ص ٢٩٠/ هـ٤)، والغالب عدم ذكر طبقات المصنفات مع توافر كثير منها وشهرته، كما في (ترجمة ابن سيده ص ٢٩٠ رقم ٤٦)؛ حيث ذكر طبعة معجم المخصص، ولم يذكر طبعة معجم المحكم!

إن فحص هذا العمل في المجمل يكشف عن جهد طيب، يميزه فكرة إدراج معجم اللغويين في سياق معجم للحضارة؛ بما أن الحضارة العربية تستوعب منجز العلم.

وقد فرط منه عدد كبير من المترجمين، مع حرصه على الإحصاء والاستقصاء؛ بسبب عدم استيعاب المصادر، فضلًا عن الاضطراب المنهجي في ترتيب المداخل وترتيب المعلومات التي تحتها، ومن جملة ما يلاحظ عدم بيان معيار الحكم بأندلسية المترجم، هل هو الميلاد أم الوفاة أم الحياة والمعيشة والإقامة؟! فضلًا عن عدم بيان المعيار في تعيين المجال هل بالتصنيف في حقل اللغة، أم بذكر كتب التراجم التراثية لمجال اختصاص المترجم وشهرته العلمية؟!

***

٢/٢
معجم علماء اللغة والنحو في الأندلس
من الفتح إلى سقوط الخلافة
(٩٢هـ - ٨٩٨هـ)
للدكتور رجب عبد الجواد إبراهيم
(١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م)

٢/ ٢.١ الانتماء المعرفي للعمل:

ينتمي هذا العمل إلى مجال معجمات الأعلام المختصة بميدان اللغة والنحو في نطاق مكاني محدد هو بيئة الأندلس، وفي نطاق زماني محدد أيضًا، هو تاريخ الخلافة، ثم تاريخ الوجود الإسلامي في الأندلس من (٩٢هـ - ٨٩٨هـ).

وهذا الانتماء تشهد له التصريحات التالية:

أولًا: خطاب العنوان الذي حمل كلمة: معجم.

ثانيًا: خطاب المقدمة (ص/ ١٨)، يقول مصنف المعجم: "ويهدف هذا العمل إلى حصر علماء اللغة والنحو في الأندلس".

وكلمة العمل التي وردت في هذا النقل محمولة على معنى المعجم المستعمل من جانب صاحبه في العنوان، ولاسيما أن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان أستاذًا في اللسانيات، وعلى وعي تام بتصور المصطلح وإطلاقاته.

ثالثًا: خطاب الترتيب؛ حيث رتب المصنف مداخل العمل ترتيبًا ألفبائيًّا هجائيًّا، وهو الترتيب الشائع في عمل المعاجم وصناعتها.

هذا العمل المرجعي - إذن - معجم جامع لأعلام النحاة واللغويين في الأندلس تعيينًا من فتحها إلى سقوط الخلافة.

٢/ ٢.٢ البنية الكبرى لمعجم علماء اللغة والنحو في الأندلس:

يتضمن هذا المعجم ثلاثة عناصر تكون بنيته الكبرى، وهي:

أولًا: واجهة المعجم.

ثانيًا: متن المعجم.

ثالثًا: ملاحق المعجم.

وفيما يلي فحص لما احتوت عليه هذه العناصر، وتقويمها ونقدها في ضوء الأصول المستقرة في البحث المعجمي بفروعه المختلفة.

أولًا: واجهة معجم علماء اللغة والنحو في الأندلس:

تشغل واجهة المعجم أول أقسام العمل، وقد تضمنت في هذه الحالة المكونات التالية:

أ. صفحة العنوان: معجم علماء اللغة والنحو في الأندلس من الفتح إلى سقوط الخلافة.

ب. صفحة الإهداء، وتضمنت إهداء إلى علماء الأندلس الذين أقاموا حضارتها.

ج. عتبة نصية بعنوان الدرس المستفاد، يقول فيه: (ص ٥): "بعد ضياع الأندلس يتأكد لدينا أن أعدى أعداء أمة الإسلام هو الخلاف والشقاق، وصدق الله العظيم: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾[الأنفال: ٤٦].

د. مقدمة المعجم:

وقد نهضت ثلاثة العناصر الأولى من واجهة المعجم بجملة من الوظائف، هي:

الموثوقية التي تجلت في بيان اسم المصنف وعمله؛ بوصفه كان أستاذًا للغة، والمعرفية التي تجلت في إحاطتنا بحدود المعجم الزمانية (٩٢هـ - ٨٩٨هت)، والمكانية (بيئة الأندلس)، والموضوعية العلمية (تراجم علماء اللغة والنحو)، والوظيفة الأخلاقية؛ لأنها كشفت عن الدوافع النفسية والدينية وراء إنجاز العمل.

أما المقدمة فقد تضمنت المعلومات التالية:

١. تتبع مصادر العناية بتراجم اللغويين والنحويين الأندلسيين، بدءًا من القرن الثالث الهجري حتى القرن الحادي عشر الهجري؛ أي بعد سقوط الخلافة بنحو قرنين، وقد قام هذا التتبع على المنهجية التالية:

أ. ذكر المصدر، وتاريخ وفاة مؤلفه.

ب. ذكر حدود عناية المصدر بتراجم اللغويين والنحويين، وعدتهم في المصدر.

ج. ذكر منهج ترتيب التراجم في المصدر (هجائي؛ إلخ).

وقد اقتصر في هذا التتبع على المصادر التاريخية الأندلسية، وإن لم يهمل المصادر المشرقية في جمع مادة المعجم، وتوثيق معلوماته.

٢. الغرض من المعجم: ذكر المصنف هدفه (ص/ ١٨) قال: "يهدف هذا العمل إلى حصر علماء اللغة والنحو في الأندلس منذ بواكير الفكر النحوي في القرن الثاني الهجري إلى سقوط الأندلس في نهاية القرن التاسع الهجري.

٣. بيان منهج ترتيب المداخل: ذكر المصنف أنه رتبها ترتيبًا هجائيًّا جذعيًّا مشرقيًّا، يقول (ص/ ١٨): "وقد رتبته ترتيبًا هجائيًّا مشرقيًّا"؛ أي على تتابع حروف الهجاء المعروفة في المشرق: (أ،ب، ت، ث ... ي) ولم ينص على أنه رتب المداخل داخليًّا وفق الترتيب الهجائي كذلك.

٤. بيان معلومات التعليق على المداخل: ذكر المصنف أنه اعتنى بمعلومات ما "يتميز به النحوي واللغوي، ولقبه وكنيته ... وأفردت مساحة مستقلة لمؤلفات المترجم له، وبيان المطبوع منها والمخطوط والمفقود".

٥. ذكر التزامه التوثيق في كل مدخل.

وقد تضمنت هذه المقدمة عددًا أكبر من المعلومات، مقارنة بسابقتها في العمل المعجمي السابق، وهو أمر يبدو منطقيًّا، في ضوء اهتمامات صانع هذا العمل، الذي كان مختصًّا في الدراسات اللغوية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد أخلت هذه المقدمة بما يلي:

أولًا: بيان المعلومات الإرشادية.

ثانيًا: بيان ترتيب معلومات التعليق على كل مدخل.

ثالثًا: بيان خصائص المعجم ومميزاته، مقارنة بسوابقه.

رابعًا: بيان طبيعة المستعملين الذين صنع لهم هذا المعجم.

خامسًا: التفاوت في بيان منهج بعض مصادر هذا المعجم.

ثانيًا: متن معجم علماء اللغة والنحو في الأندلس:

متن المعجم أو صلبه هو الجزء الرئيس فيه، الذي يمثل وعاء مادة المعجم، وهو عبارة عن:

أ. المداخل.

ب. معلومات ما تحت المداخل.

وقد رتب المعجم مداخله ترتيبا هجائيًّا جذعيًّا مشرقيًّا، كما أشار المصنف في المقدمة، وهو ما نتج عنه توزع المتن على سبعة وعشرين بابًا، ما عدا باب حرف الظاء، الذي لم يورد فيه تراجم لأحد من علماء اللغة والنحو في الأندلس.

وقد ضمت أبواب المعجم السبعة والعشرين ٨٩٨ مدخل، بزيادة بابين، و١٩٨ مدخل عن المعجم السابق!

وجاء الترتيب الداخلي لتراجم كل باب أو حرف على وفاق الترتيب الهجائي أيضًا، غير معتد في هذا الترتيب بكلمات(ابن – أبو – ال).

كما أنه التزم الترتيب على إيراد الأسماء أولًا، ثم الكنية، ثم اللقب في أحيان، وفي أحيان أخرى يورد اللقب ثم الكنية بعد الاسم.

ومن ذلك:

(ص/ ٩٥ ترجمة ١٦٩: أيوب بن سليمان المعافري، أبو صالح)، فمن ذلك يتضح ترتيب عناصر المدخل في الاسم، ثم اللقب (المعافري)، ثم الكنية (أبو صالح).

وفي مرة أخرى يورد:

(ص/ ١١٤ ترجمة ١٩٠: جعفر بن محمد أبي سعيد بن شرف الجذامي القيراوني أبو الفضل)، ومن ذلك يتضح البدء بالاسم، ثم اللقب (الجذامي القيراوني)، ثم الانتهاء بالكنية (أبو الفضل).

ومن أمثلة المنهجية الأخرى:

(ص١١٥ ترجمة ١٩٢: جعفر بن محمد بن مكي ... أبو عبد الله القرطبي النحوي اللغوي)، ومنه يتضح إيراد الكنية (أبو عبد الله) بعد الاسم، وتأخير اللقب (القرطبي ...)!

أما معلومات ما تحت المداخل فقد تضمنت حزمة من المعلومات المختصة بشكل المدخل، وضبط الاسم العلم بعناصره المختلفة، وحزمة من المعلومات المختصة بتعريف المدخل.

ويلاحظ أن المعجم لم يبين منهج إيراد هذه المعلومات، ولا حدودها، ولا طريقة ترتيبها، وهو ما سوف نعالجه في الكلام على البنية الصغرى.

ثالثًا: ملاحق المعجم:

صنع مصنف المعجم فهرسين له، هما:

أ. فهرس مصادر المعجم، مرتبة عهلى المشهور من أسماء المصنفين، إن اسمًا أو كنية أو لقبًا.

ب. فهرس محتويات إجمالي للمعجم.

وفي البداية، فإن هذا المعجم كان في حاجة إلى كشاف لألقاب هؤلاء العلماء ييسر الوصول إليهم؛ لأن الشائع في الثقافة العربية اشتهار العالم بلقبه!

وقد ضم فهرس مصادر المعجم مجموعات متمايزة، يمكن ملاحظتها فيما يلي:

١. مجموعة مصادر المصادر التاريخية الأندلسية المعنية بتراجم علماء هذه البقعة الجغرافية، من مثل:

- كتب ابن الأبار (ت ٦٥٨هـ): التكملة لكتاب الصلة، والحلة السيراء، والمعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي.

- كتاب العماد الأصفهاني (ت ٥٩٧هـ): خريدة القصر وجريدة أهل العصر.

- كتاب ابن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة.

- كتاب ابن بشكوال (ت ٥٧٨هـ): الصلة، وغير هذه كثير في قائمة مصادره.

٢. مجموعة المصادر الخاصة بطبقات النحويين واللغويين، من مثل:

- كتاب الزبيدي (ت ٣٧٩هـ): طبقات النحويين واللغويين.

- كتاب السيوطي (ت ٩١١هـ): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة.

- كتاب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ): البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة.
- كتاب ابن قاضي شهبة (ت ٨٥١هـ): طبقات النحاة واللغويين.
- كتاب القفطي (ت ٦٤٢هـ): إنباه الرواة على أنباه النحاة.
- كتاب ابن مكتوم (ت ٧٤٩هـ): أخبار النحويين واللغويين، المعروف بتذكرة ابن مكتوم.
- كتاب ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ): معجم الأدباء.
- كتاب اليماني (ت ٧٤٣هـ): إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين.

٣. مجموعة كتب البرامج والمشيخات والفهارس التي صنفها علماء أندلسيون، من مثل:

- برنامج ابن أبي الربيع (ت ٦٨٠هـ).
- برنامج النجيبي (ت ٧٣٠هـ).
- برنامج شيوخ الرعيني (ت ٦٦٦هـ).
- برنامج الوادي آشي (ت ٧٤٩هـ).
- برنامج المجاري (ت ٨٦٢هـ).
- فهرسة ما رواه ابن خير عن شيوخه (ت ٥٧٥هـ).
- الغنية، فهرست شيوخ القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ).
- فهرست ابن عطية (ت ٥٤٢هـ).
- فهرست اللبلي (ت ٦٩١هـ).
- ثبت البلوي الوادي آشي (ت ٩٣٨هـ).

٤. مجموعة كتب التاريخ العام والطبقات المتنوعة، من مثل:

- كتاب ابن حجر (ت ٨٥٢هـ): الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، والذيل عليها.
- كتاب ابن خلكان (ت ٦٨١هـ): وفيات الأعيان.
- كتاب الذهبي (ت ٧٤٨هـ): سير أعلام النبلاء، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام.

- كتاب الصفدي (ت ٧٦٤هـ): الوافي بالوفيات.

٥. مجموعة كتب الرحلات، من مثل:

- رحلة ابن رشيد؛ ملء العيبة بما اجتمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين: مكة وطيبة.

وقد كان للتوسع في جمع مصادر هذا المعجم أثره الإيجابي في أمرين ظاهرين، هما:

أ. ارتفاع كثافة مداخل المعجم، التي وصلت إلى (٨٩٨) مدخل مقارنة بالمعجم السابق الذي بلغت كثافة مداخله (٧٠٠) مدخل فقط.

ب. غنى معلومات التعليق على المداخل.

وقد نهضت مجموعات هذه المصادر بعدد من الوظائف المهمة في هذا المعجم، يمكن رصدها فيما يلي:

١. الوظيفة البنائية؛ بمعنى نهوضها ببناء مادة المعجم، وهو الأمر الذي انعكس على زيادة كثافة المداخل، كما سبق أن قررت.

٢. الوظيفة الاستدراكية؛ بمعنى أن التوسع في جمع المصادر المتنوعة - ولاسيما المصارد الأندلسية - منح المعجم قدرة على استدراك عدد كبير من التراجم أخل بها المعجم السابق في المجال والحدود نفسها، مع أن الفارق بينهما لا يكاد يذكر من جهة تاريخ الإصدار والنشر.

٣. الوظيفة المعرفية؛ بمعنى أن وفرة المراجع في توثيق كل مدخل منح القارئ أو المستعمل مراجع تعينه على الاستزادة من معلومات المترجم له متى أراد.

٤. وظيفة الموثوقية؛ بمعنى بث الاطمئنان في نفوس المستعملين، ومنحهم درجة عالية من الثقة في معلومات التعليق على المداخل؛ نظرًا لوفرة المصادر التي رجع المعجم إليها في الترجمة.

٣/٢

البنية الصغرى لمعجم علماء اللغة والنحو في الأندلس

البنية الصغرى هي معلومات التعليق على المداخل، وهي موزعة على نوعين من المعلومات:

أولًا: معلومات التعليق على شكل المداخل؛ بيانًا للضبط والتهجئة، ونوع صيغته التصريفية والنحوية؛ مما يعرف بالمعلومات الجراماطيقية.

ثانيًا: معلومات التعليق على معنى المدخل من التعريف، ومعلومات مستوى الاستعمال، وتفسير المدخل.

وفحص معلومات التعليق على المداخل في هذا المعجم يكشف عن العناية بالمعلومات التالية:

١. ضبط ما يلزم ضبطه من عناصر الاسم المترجم له ضبط قلم، أو بالتشكيل.
٢. تفسير اللقب الخاص بالمترجم له.
٣. بيان العلوم اللغوية التي مهر فيها، واشتغل بها.
٤. ذكر مولده ووفاته والبلدة التي عاش فها من ديار الأندلس.
٥. ذكر المصنفات التي خلفها وراءه.
٦. ذكر الرأي العلمي في مكانته العلمية.

ومن نماذج التراجم الكاشفة عن منهج التعليق على المداخل ترجمة الأعلم الشنتمري (ص٥٢١ ترجمة ٨٨٦)، يقول المعجم:

"يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي الشنتمري، المعروف بالأعلم (ت ٤٧٦هـ):

- من أهل شنتمرية.
- لقب بالأعلم؛ لأنه مشقوق الشفة العليا.
- يكنى أبا الحجاج.
- كان عالمًا بالعربية واللغة ... إمامًا في النحو.
- رحل إلى قرطبة ... وأقام بها مدة.
- مؤلفاته:

١- شرح حماسة أبي تمام.
٢- شرح جمل الزجاجي.

٣- شرح أبيات الجمل.

٤- النكت على كتاب سيبويه (وهو مطبوع)".

ويتضح من هذا المثال المنهجية التالية في إيراد معلومات التعليق:

أولًا: البدء بذكر الانتماء المكاني الدال على أندلسيته (من أهل شنتمرية).

ثانيًا: تفسير لقب المترجم له (الأعلم: مشقوق الشفة العليا).

ثالثًا: ذكر الكنية (يكنى أبا الحجاج).

رابعًا: بيان المجال المعرفي الذي اشتغل بعلومه؛ مما يبرهن على صحة إدراجه في هذا المعجم (كان عالمًا بالعربية واللغة وإمامًا في النحو).

خامسًا: ذكر مؤلفاته (وإن كان ذكرها جاء غير مستوفٍ لشرط بيان المطبوع منها والمخطوط على ما وعدت المقدمة)!

ودراسة التعليقات على المداخل في هذا المعجم تكشف عما يلي:

أولًا: الاضطراب في ترتيب معلومات التعليق؛ فليس ثمة منهجية مطردة في ترتيب معلومات التعليق؛ إن على مستوى الشكل، وإن على مستوى المعنى.

ثانيًا: التفاوت في ذكر معلومات التعليق من مدخل لآخر، فليس يظهر فيها جميعًا تفسير اللقب.

ثالثًا: عدم الوفاء بما وعدت به المقدمة؛ من ذكر المعلومات الببليوجرافية بمؤلفات كل مترجم له، مع شهرة مطبوعات عدد كبير من المؤلفات المذكورة في التعليق على عدد من المداخل.

٤/٢
المصادر والتوثيق

جاءت ملامح العناية بمصادر المعجم جيدة؛ حيث درسها صانع المعجم، وأشار إليها في المقدمة، ثم صنع لها فهرسًا في ملاحقه.

وتمثلت منهجية التوثيق في هوامش كل صفحة فيما يلي:

أولًا: ذكر مصادر ترجمة كل مدخل مجموعة في هامش مستقل، مسبوقة بالمؤشر اللغوي: "ترجمته في: ...".

ثانيًا: ذكر عنوان المصدر متبوعًا بالمؤشر المكاني؛ رقم الجزء، والصفحة ورقم الترجمة إن وجد، وفي أحيان يكتفي بذكر رقم الترجمة فقط!

ثالثًا: ذكر بعض الفروق التي تذكرها المصادر في تعليقات موجزة جدًّا (انظر ص ١٥٧هـ).

وفحص منهج المعجم في توثيق الاستشهادات المرجعية يكشف عن مجموعة من الخصائص الحاكمة، هي:

أ. الدقة.

ب. الإيجاز والاختصار في ذكر معلومات الإحالة على المصادر بما لا يخل.

ج. التضافر؛ أي ضم مصدر إلى آخر.

وقد نهضت منهجية بناء الاستشهادات المرجعية بوظيفتين ظاهرتين مهمتين جدًّا، هما:

أولًا: الوظيفة المعرفية لمن يروم الاستزادة في معلومات مترجم له.

ثانيًا: وظيفة تحقيق الموثوقية لمستعملي الكتاب، وهي الوظيفة التي تجلت في مظهرين، هما:

أ. كثرة مصادر توثيق معلومات التعليق على كل مدخل، وتنوعها.

ب. إثبات تعليقات موضوعية عند الضرورة والحاجة، عند وجود فروق في معلومات ما تثبته المراجع والمصادر المختلفة.

فضلًا عما تقوم به كثير من هوامش التوثيق من وظائف معرفية لبعض الحقول المعرفية التي تختص بتحقيق النصوص التراثية والببليوجرافية التراثية لكتب التراجم المفقودة، وغيرها.

والمثير للدهشة أن هذا المعجم أخل بمصدر أساسي في حقله المعرفي، فلم تظهر أية إشارة له، وهو معجم اللغويين في الأندلس للدكتور يوسف عيد والدكتور يوسف فرحات، مع أنه سبق صدوره قبل هذا العمل.

(٣)

العناية بتراجم اللغويين والنحويين في الأندلس: خطاب الوظائف

إن تحليل ما ظهر من أعمال مرجعية اعتنت بتراجم اللغويين والنحويين في الأندلس من منظور الوظائف والمقاصد، يكشف عن جملة كبيرة من الوظائف التي يمكن تحقيقها من خلال هذه الأعمال.

وفي هذا المطلب نقف بشكل موجز عند أظهر الوظائف والمقاصد الممكن تحقيقها؛ وهي:

أولًا: الوظيفة المعرفية:

إن هذه الأعمال المرجعية نافعة في تحقيق القضايا والمسائل المعرفية المنتمية لحقول اللسانيات التراثية في الأندلس، من مثل:

أ. استكمال الحلقات الناقصة في منجز النحاة واللغويين في الأندلس.

ب. فحص ما اخترعه اللسانيون الأندلسيون مقارنة بما أنجزه المشارقة.

ج. دراسة الجهاز الاصطلاحي المتميز في الدراسات اللسانية التي أنجزها الأندلسيون.

د. دراسة مدى تأثير الدرس اللساني التراثي المشرقي في نظيره الأندلسي، من خلال فحص شروح الأندلسيين وتكملاتهم وحواشيهم على المصنفات اللسانية المشرقية.

وهذه الأربعة المحاور مجرد عينة لما يمكن أن تسهم في إنجازها معاجم التراجم المعاصرة التي توقفت عند جمع علماء اللغة والنحو في الأندلس والترجمة لهم، وذكر مصنفاتهم.

ثانيًا: الوظيفة الدينية:

لقد كشف تحليل مقدمات الأعمال المرجعية المعاصرة التي توقفت أمام ترجمة نحاة الأندلس ولغوييه عن أمر مهم جدًّا، يتعلق بالوظيفة الدينية التي دفعت هؤلاء المعاصرين إلى إنجاز هذه الأعمال.

لقد دفعهم نوع شعور ديني عميق يشعر بضرورة الوفاء لما أنجزه علماء هذه الأرض التي عمرها الإسلام نحو من ثمانية قرون كاملة.

ومن جانب آخر، فإن هذه الأعمال المرجعية المعاصرة يمكن أن تسهم في تعميق الدراسات المتعلقة بما يلي:

أ. تجليات وحدة الأمة الإسلامية بطريق عملي في حقول علوم اللغة والنحو؛ فقد ظهر أن كثيرًا من علماء هذا الحقل تفرغوا لإنجاز ما يلي:

١. شرح مصنفات لغوية ونحوية لمشرقيين.

٢. الاستدراك والتكملة لعدد من المصنفات اللغوية والنحوية المشرقية.

وهو الأمر الذي يعني أن علماء الأندلس أدركوا - بصورة عملية - أنهم جزء من حضارة أوسع هي حضارة الإسلام.

ب. تجليات التصدي لمناطق الفراغ التي لم يخدمها المشرقيون في دراساتهم للسان العربي، وهو الأمر الذي يظهر فيما أنجزه اللسانيون الأندلسيون من مصنفات لم يعرفها المشارقة، أو عرفوها ولكن بصورة أقل مما هي عليه في الأندلس.

ثالثًا: الوظيفة التاريخية:

من جانب آخر، فإن دراسة هذه الأعمال المرجعية تسهم في تغطية جزء كبير من تاريخ العلم اللساني في الأندلس، وتاريخ العلاقات العلمية بين المشرق والأندلس من جانب، وبين علماء المذاهب المختلفة من جانب آخر.

الخاتمة:

عالج هذا البحث ملامح العناية المعاصرة بتراجم علماء اللغة والنحو في الأندلس من الفتح (٩٢هـ) إلى سقوط الخلافة (٨٩٨هـ).

وقد طالت هذه المعالجة فحص المطالب التالية:

١. حدود العناية ودوافعها.

٢. دراسة التصنيف والنقد المعجميين للأعمال المرجعية التي اعتنت بتراجم اللغويين والنحويين الأندلسيين.

٣. رصد أهم ثلاث وظائف يمكن تحقيقها، من خلال استثمار هذه الأعمال المرجعية المعاصرة.

٤. وقد كشفت هذه الدراسة عن جملة من النتائج، نجملها فيما يلي:

أولًا: ظهرت ملامح العناية المعاصرة بتراجم علماء اللغة والنحو في الأندلس بتأثير من دوافع معرفية ودينية ونفسية مجتمعة.

ثانيًا: حرصت هذه الأعمال المرجعية على الاستيعاب والحصر.

ثالثًا: سعت هذه الأعمال المرجعية إلى تطبيق برامج صناعة المعجم الحديثة في بناء معاجمها.

رابعًا: ظهر تفاوت واضطراب في تطبيق قواعد برامج صيانة معجمات التراجم في الترتيب والمعلومات، وإن اختلف كل معجم عن أخيه في نسب التفاوت وملامح الاضطراب.

خامسًا: ظهر تفاوت في كثافة مداخل كل معجم، فعلى حين ترجم معجم يوسف عيد فرحات لسبعمئة مدخل، ترجم رجب عبد الجواد لنحو تسعمئة مدخل، بزيادة تقدر بنحو مئتي ترجمة!

سادسًا: ظهر تفاوت في كثافة الاعتماد على المصادر المختصة التي استعملت في جمع المادة.

سابعًا: أخلت هذه الأعمال المرجعية بترجمة علماء اللغة والنحو من الموريسكيين بعد سقوط غرناطة، ولم يذكرا سبب هذا الإغفال مع توافر إرادة الحصر والإحصاء.

ثامنًا: لم تحدد هذه الأعمال المرجعية معايير تعيين أندلسية المترجم له، هل هي الميلاد في الأندلس، أم الوفاة به، أم الحياة، أم الانتقال إليه من غيره؟

وهذا التعيين كان لازمًا؛ لبيان تأثير حركة الانتقالات منه وإليه، في تبادل الأفكار اللسانية بين المشرق والأندلس.

والحق أن هذه الأعمال المرجعية خطوة طيبة على طريق خدمة حقل الدراسات الأندلسية بوجه عام، وحقل الدراسات اللسانية الأندلسية بوجه خاص.

المراجع:

- الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، للدكتور ألبير حبيب مطلق، الجامعة الأمريكية، بيروت، ١٩٦٥م.

- الدراسات اللغوية في الأندلس، للدكتور رضا عبد الجليل الطيار، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، بغداد، سلسلة دراسات ٢٢٧ سنة ١٩٨٠م.

- طبقات النحويين واللغويين، للزبيدي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٢ سنة ١٩٨٤م.

- المعجم العربي في الأندلس، للدكتور عبد العلي الودغيري، المملكة المغربية، الرباط.

- معجم علماء اللغة والنحو في الأندلس من الفتح إلى سقوط الخلافة (٩٢- ٨٩٨هـ) للدكتور رجب عبد الجواد إبراهيم، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١ سنة ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م.

- معجم اللغويين في الأندلس، للدكتور يوسف عيد والدكتور يوسف فرحات (ضمن معجم الحضارة الأندلسية) دار الفكر العربي، بيروت، ط١ سنة ٢٠٠٠م.

***